هبات الرحمن

في السنة والقرآن

تأليف المؤرخ والمفكر الإسلامي

سمير محمد عثمان الحفناوي

مؤرخ علم الرياضيات وتاريخ العلم والعلماء

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة - ميدان حليم خلف بنك فيصل

شارع ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا

ت ٠١٠١٤١١٥ - ٠٢٢٧٨٧٧٥٧٤

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اســم الكتاب : هبات الرحمن في السنة والقرآن

المــــــؤلف : المؤرخ والمفكر الإسلامي

سمير محمد عثمان الحفناوي

رقــم الإيداع : ٢٠١٠/٨٥٤٦٥

الترقيم الدولي :

الطبعة الأولى ٢٠١٠



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

الإهداء

إلى ثمرة فؤادي......

وروح قلبي ......

وفلذة كبدي...

ابنتي الراحلة : ياسمين

أهدى هذا الكتاب لكل من توفى له ولد وكان صابرًا محتسبًا عند الله فلقد ساعدتني ياسمين على جمع مخطوطات العرب والمسلمين وكانت تحرص معي دائمًا على إحياء ذكراهم فى التاريخ أبدَ الدهر وأسأل الله أن تكون ذخرًا لنا فى الجنة وأن يدخلنا الله وإياكم الجنة من غير حساب ولا سابقة عذاب ... وأتوسل من القارئين أن يدعوا لى ولوالدتها أن يفرغ الله علينا صبرًا وأن تأخذ بأيدينا إلى الجنة من غير أن يُنصب لنا ميزان أو يُكتب لنا ديوان.

والدك : المؤرخ المصري

سمير الحفناوى






تقديم

◆◆◆




الحمد لله الذي خلق آدم من طينٍ ثـم نفـخ فيـه روحـا، ثـم اصـطفاه للرسـالة كـما اصطفى من بعده إدريـس ونوحـا، واتخـذ إبـراهيم خلـيلا وموسـى كلـيمًا وإسـماعيل ذبيحا، ونصر هود على عاد وألان الحديد لداود ؛ ووسع لسليمان فى الأرض وسـخّر له ريحا، وأنقذ لقمان من المنام ، وآتاه الحكمة فى المنام فاستيقظ بليغا فصيحا ، ونجى يوسـف مـن الجـب وعلمـه مـن تأويـل الأحاديـث فكـان فى تعبـيره للرؤيـا نجيحا،واختص المصطفى محمد ﷺ بتمام رسـالاته وشرفـه بحـوضٍ مـورودٍ ومقـامٍ فسـيحٍ وأنـزل عليـه فى محكـم كتابـه الحكـيم :﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم].

أحمده سبحانه على كل حال وعلى نعمه التي لـيس لهـا زوال ونشـهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له لا ند له لامثيل له لاشبيه لـه شـهد لذاتـه بالوحدانيـة قبـل أن تشهد له مخلوقاته.فقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨ ﴾ [طه].

وقـال تعـالى: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤ ﴾ [طـه]. وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه من خيرة خلقـه وحبيبـه ،حمـل منـهج السـماء بأمانة إلى كافة الناس أجمعين، بواسـطة الأمـين جبريـل ، تنزيـل مـن رب العـالمين ألا وهـو القـرآن الكـريم ذلـك القـبس السـماوى المنـير الـذى يشـع الخطـوط المستقيمة للسلوك الفردي ذلك القبس السماوى المنير رمزاً لكل ماهو حق ولكـل مـاهو عـدل ولكل ما هو واجب.

أما بعد: قال الله تعـالى: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ۝٧٦ ﴾ [مريم]

فالإنسـان الموحـد لله تعـالى يجـب دائـماً أن يـزداد منسـوب إيمانـه إلى أن يـذوب في طاعة وحب الله ورسوله فيرتقي من مرحلـة المسـلمين إلى مرحلـة المؤمنين بصـدقه،

ومن مرحلة المؤمنين إلى مرحلة المتقين بصبره، ومن مرحلة المتقين إلى مرحلة المحسنين بخشيته من ربه. فيلقى الله سبحانه وتعالى على الوجه الذي يرتضيه،فيفوز برضوانه وغفرانه وفسيح جناته.والله تعالى يفيض بعطائه لهذا العبد الطائع في الدنيا قبل الآخرة بجزيل عطائه، بصور تتناسب مع الأعمال الإيمانية لعبده، تتجلى فيها طلاقة قدرة رب البرية،حيث تخالف النواميس الكونية،وهذا هو موضوع بحثنا عن الهبة في القرآن والسنة النبوية. وفي هذا الكتاب نقدم باقة من أغصان اسم الله تعالى ـ الوهاب ـ تتراقص على سوقها ورود الحكمة... وأكمام المُلك.

فاسم ـ الوهاب ـ مرتبط دائمًا بصفة الرحمة.. ولنحاول معًا أن نعيش فترة مع اسم الوهاب ـ في كتاب الله ـ تعالى ـ وفي سنة نبيه ـ محمد ـ ﷺ ..عسى الله أن يهب لنا من لدنه رحمة تكشف لنا بعض أسرار هذا الاسم الكريم... فنجد قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾[آل عمران] وقوله تعالى: ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ ﴾[ص] وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾ [مريم] وقوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴾ [مريم] وقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [ص].

تلك باقة عطرة من رياض القرآن الكريم ... نتنسم منها عبير الرحمة عبقاً... ينشر أريجه في أعماق النفس ... فيثلج الصدر وينعش الفؤاد ... تعانقت فيها زهرات الرحمة فوق أعواد الاسم ـ الوهاب ـ ترويها قطرات الغيث الهاطلة من خزائن العزيز العالي الجناب.

كما أن اسم ـ الوهاب ـ له علاقة أيضاً باسمي: الحكيم والملك.. اقرأ قوله تعالى: ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الشعراء] وقوله تعالى: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي

حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[الشعراء]. هذا من ناحية الحكمة... أما من ناحية الملك.... فاقرأ قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ص].

لقد رأينا اسم ـ الوهاب ـ يتلألأ في مجل الأسماء: العزيز ـ الرحيم ـ الملك ـ الحكيم ـ وهذا مانورده تفصيلياً إن شاء الله، كما أن لهذا الاسم ميداناً واسعاً من المنح والعطاء... ولكنه منح وعطاء من نوع آخر غير ما نعرفه من عوامل المنح التي نعرفها .. وعناصر العطاء المادي التي نألفها ... من الطعام والشراب والكساء .. أو العطاء الروحي من الأخلاق والشيم والدين؟ إنه عطاء الأنفس من البنين والذرية الصالحة... وهو البند الثاني من البنود الستة ... التي هي كل متاع الحياة الدنيا؟ ولقد أوجزها القرآن الكريم في سورة آل عمران... في آية صغيرة المبنى ... كثيرة المعنى... قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران]. كما أننا سوف نرى العلاقة الوثيقة بين البنين واسم الله ـ الوهاب ـ لأن اسم الله ـ الوهاب ـ هو صاحب الهيمنة في عطاء البنين ... ولنا جولة واسعة بين حدائق القرآن الكريم ... لنقتطف تلك الزهرات الكريمات من ذلك المنبت الكريم ... ولنستمتع مع خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ـ يقول ـ: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [إبراهيم] وقوله أيضاً: ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ ﴾ [مريم] وقوله: ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنعام] واقرأ أيضاً ﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ

وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [العنكبوت] وقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنبياء] وهذا دعاء إبراهيم عليه السلام أيضاً: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصَّافات]. كما نذهب لزيارة إمام الصابرين أيوب ـ عليه السلام ـ ومع قول الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [ص].

ونجده أيضاً مع داود ـ عليه السلام ـ: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص] ...كما نجده أيضا مع زكريا ـ عليه السلام ـ: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء] ويقول أيضا:

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران]. ويقول أيضا: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾﴾ [مريم]. كما نجده أيضاً يجري على لسان جبريل ـ عليه السلام ـ مخاطباً مريم ـ عليها وعلى ابنها السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ [مريم].

كما ورد في القرآن الكريم تعلُّق هذا الاسم بالبنين في غير الأنبياءوالرسل مثل عباد الرحمن... قال تعالى في صفات عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان]. كما جاء الحكم القاطع... والبيان الساطع... في مجال الاسم ـ الوهاب ـ ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾﴾ [الشُّورى].

وختام ذلك جاء في دعاء الراسخون في العلم فقال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ

هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران].

وقد عالجنا موضوع الهبة في كل حالة من حيث الصفة المرتبطة بها ، وأتحفنا الكتاب ببعض الحوارات الإيمانية للصفات ، التي تجعلنا نتحصل على عطاء الله.

المؤرخ والمفكر الإسلامي

سمير الحفناوي




الفصل الأول

الهبة في القرآن الكريم








قبل أن نستعرض موضوع الهبة في القرآن الكريم لابد أن نعوِّل على المفهوم اللغوي والفقهي للهبة.

المفهوم اللغوي:

تُعرّف الهبة في المعجم العربي بأنها: العطية الخالية عن الأعواض والأغراض، والهبة مشتقة من هبوب الريح، وهبّة الريح؛ وذلك لأن الريح خفيفة وهبوبها خفيف، ثم سميت الهبة بذلك؛ لخفتها على الواهب، حيث إنه لا يطلب بها ثمنًا. وتسمى هبة التبرع أو التبرر، فإن شرط لها عوضًا سميت هبة الثواب. بمعنى: أنه يطلب لها أجراً فيكون بذلك قد جعلها ثوابًا. إذا قال: أهديتك هذا الكتاب، أو وهبتك هذا الكتاب على أن تعوضني منه ثوباً أو كيساً، فإن هذه هبة ثواب. فهي من أنواع البيع، لها أحكام البيع، وشروط البيع. أن يكون الواهب يملك ما وهب، وأن يكون مكلفاً، وأن تكون الهبة مالية، وأن يكون مقدوراً على تسليمها، وأن تكون معلومة، إلى آخر شروط البيع. هذه هبة الثواب.

وأما هبة التبرر: وهو الذي لا يريد بها عوضًا، وإنما يقصد بذلك التودد إلى ذلك الذي يهب له، يقصد أنه تحصل بينهما المودة والمحبة وصفاء القلوب. ورد في الحديث: « **تهادوا تحابوا، فإن الهدية تسل السخيمة** ». السخيمة: هي الضغائن التي في القلوب، الأحقاد والبغضاء. الغالب أنك إذا أهديته شيئًا يفرح به. فإنه يعرف بذلك صداقتك، ولو كان يكنُّ لك شيئا من الحقد فإنه يرجع إلى المودة، فيحبك ويقدرك. هذا السبب في الحث على الهبة

المفهوم الفقهي:

المذهب الجعفري: العقد المقتضي تمليك العين من غير عوض تمليكًا منجزًا مجردًا عن القربة وقد يعبر عن الهبة بالنحلة والعطية.

المذهب الحنفي: تمليك العين بلا شرط العوض في المال.

المذهب الشافعي: تمليك تطوع حال الحياة.

المذهب الحنبلي: تمليك في الحياة بغير عوض للتقرب إلى المُهدى إليه والمحبة له.

ومن خلال استعراضنا لموضوع الهبة، نلاحظ أن الهبة قد تحمل مرادفات أخرى مثل الهدية ،والصدقة ،حسب طبيعة الموقف والهدف، ولذلك يتلون المفهوم طبقاً للطبيعة البشرية.

فالبشر أبناء أغيار، فمنهم من كان هدفه تباعدي يرجو رحمة الله ورضوانه وآثر ما عند الله على ما عند البشر كما آثر الباقي على الفاني فكانت كلمة(هبة)مناسبة لسجيته طبقاً لهمته،ومنهم من كان هدفه تقاربي، يريد ثواب الدارين معاً فكانت كلمة(صدقة) مناسبة لحالته الإيمانية،ومنهم من كان هدفه مزيج تارة وغير محدد تارةً أخرى فكانت كلمة(هدية)مناسبة لطبيعته ومزاجه، كأن تكون خالصة لوجه الله تعالى من غير منٍّ ولا أذى فوقع اسمها على مسماها، فوقع له الأجر من الله تعالى،أو تكون مغرضة فيتحول اسمها إلى (رشوة) فيستحق اللعن والطرد من رحمة الله، ويحبط عمله ويسقط أجره.

لذلك فالهبة عند البشر فيما بينهم قد تفقد سجيتها وطبيعتها ووظيفتها، إذا لم يكن الهدف الأسمى منها هو احتساب الأجر من الله تعالى،وهذا ليس بغريب،حيث أن قطبي الهبة هنا بشر،أي من الأدنى(الإنسان) إلى الأدنى(الإنسان). ولكن حينما تكون الهبة من الأعلى(الله تعالى) إلى الأدنى(الإنسان)، فيكون الأمر مختلف تماماً،في المفهوم ،وفي العطاء، وفي الأسلوب،وفي الكم،وفي الكيف.

فالهبة عند الله تعالى لا تتحول ولا تتلون ولا تتغير، لأن الواهب واحد ومالك الملك واحد، لا ينازعه في ملكه أحد، لا تنفذ خزائنه، ولا تضعف عزائمه.

يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله:

وهب فلاناً شيئًا أي أعطاه إياه بلا عوض أو مقابل ، والاسم واهب ووهوب ووهاب ... والهبة أي العطية بلا مقابل . والوهاب اسم من أسماء الله الحسنى على وزن صيغة المبالغة – فعّال – والله تبارك وتعالى هو الوهاب بحق إذ هو الذي يهب ما يملك ، كما أنه هو الذي يعطي بلا مقابل ولا ينتظر الرد .. أما هبة المخلوق فهي هبة مجازية لأنه يهب ما هو موهوب له من الله عز وجل ، كما أن هبة المخلوق قلّما تكون بلا مقابل ، فإن لم يكن الوهاب يبغي من هبته مقابلاً دنيويًا فإنه لا محالة يبغي جزاء الآخرة.

بعد هذا الاستطراد السابق نلتمس الطرف الأول لخيط الحديث عن الهبة من خلال العناصر التالية:

أولاً :المفهوم الشرعي للهبة في القرآن الكريم.

لكي نقرب المفهوم الشرعي للهبة نضرب لذلك مثالاً:

هب أن إنساناً ألمت به ضائقة مادية، وأراد أن يزوج ابنته (ابنه) والمبلغ الذي معه لا يكفي لحفظ ماء وجهه أمام الناس ، أو على الأقل شراء الحد الأدنى ليستر ابنته (ابنه) ،وضاقت به الأرض بما رحبت، ولم تمتد له يد حنونة وكريمة من البشر.حينئذٍ ، نفذت الأسباب، والفرج على الأبواب، ولا يبقى إلا رب الأرباب، فطرق أبواب السماء، مناجياً الوهاب الرزاق، بأن يرفع رأسه بين العباد، ويفرج كربته ليستر ابنته، وطلب منه عشرة آلاف جنيه، فلبى الكريم أمله، وأسعفه بما طلبه فأعطاه عشرة آلاف جنيهاً ، ثم مدَّ له يد العون والمثونة، وزادة عن حاجته المطلوبة،فأعطاه تسعون ألف جنيهاً؛حينئذٍ أصبح مجموع ما عنده مائة ألف جنيهاً !!!! ، **إذاً ما هي مقدار الزيادة عن الطلب؟**

مقدار الزيادة عن الطلب =١٠٠,٠٠٠ جنيهاً ــ ١٠,٠٠٠ جنيهاً = ٩٠,٠٠٠ ألف جنيهاً .

مقدار الزيادة هذه (الـ٩٠,٠٠٠ ألف جنيهاً) تسمى الهبة.

المفهوم الشرعي للهبة :الهبة هي ما زاد عن الطلب

وتتفق الهبة أيضاً مع فضل الله تعالى، فكلمة فضل ذكرت اثنتى عشرة مرة في القرآن الكريم قال تعالى :﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ٢٩﴾ [الأنفال].ترى أنه سبحانه يعرّف نفسه بكونه ذا الفضل العظيم على المؤمنين و في الوقت نفسه على الناس أجمعين بل على العالمين كلّهم.

قال ابن فارس : الفضل له أصل صحيح يدلّ على زيادة في شيء من ذلك الفضل الزيادة و الخير ، و الإفضال : الإحسان.

قال الراغب : كلّ عطيّة لا تلزم من يعطي يقال لها فضل نحو قوله : ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ ، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ﴾، ﴿ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ٢٩﴾ وعلى ذلك فالعطايا و المواهب السنيّة و كلّ ما يسمّى كرماً فهو فضل ، فالله سبحانه يتفضّل - وراء ما أسماه أجراً - بعظائم الفضل.و أمّا حظّ العبد من هذا الوصف فيمكن أن يقع مظهراً لهذا الاسم في عطاياه النافلة بأن يقوم بعون المستنجد بنحل فضل ما له و إن لم يكن واجباً كما إذا أدّى الفرائض الماليّة.

وفي الحديث إن رسول الله ﷺ قال: « **من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له** » رواه مسلم.

والفضل هنا ما زاد عن حاجة الإنسان.

وبالرجوع إلى الرجل الذي دعا الله سبحانه وتعالى وأعطاه أكثر مما طلب فضلاً على تلبية طلبه أولاً قبل الزيادة.

هل يتحقق هذا الطلب لكل العباد؟.

نقصد هل كل النّاس الموحدين بالله تعالى يحصلون على الهبة من الوهّاب؟

أو بطريقة أخري ما هي الشروط الواجب توافرها في العبد المؤمن لكي يتحصّل على الهبة من الله تعالى؟ وهذا هو موضوع البند الثاني

ثانياً: شروط حصول العبد للهبة من الله تعالى.

من خلال استعراضنا لسور القرآن الكريم وجدنا أن الهبة تتحقق للعبد المؤمن إذا توافرت لديه الصفات الآتية:

١ - الصدق.

٢ - الإخلاص.

٣ - المسارعة في الخيرات.

٤ - العفة والاستقامة.

٥ - الصبر.

٦ - الشكر.

٧ - التقوى.

ثالثاً: جدول هبات الرحمن في القرآن حسب ترتيب السور.

نلخص الآن هبات الرحمن في القرآن في الجدول التالي ثم نشرح كل هبة بترتيب

الصفات السابقة وليس بترتيب السور حتى نحصل على الفائدة إن شاء الله تعالى.

(جدول هبات الرحمن في القرآن حسب ترتيب السور)

م	اسم السورة	الآيات
١	آل عمران	﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران] ، ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [آل عمران]
٢	الأنعام	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنعام]
٣	إبراهيم	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [إبراهيم]
٤	مريم	﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ ﴾ [مريم] ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾ [مريم] ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ ﴾ [مريم] ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾ [مريم] ، ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴾ [مريم]
٥	الأنبياء	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأنبياء] ، ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء]

م	اسم السورة	الآيات
٦	الفرقان	﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان]
٧	الشعراء	﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الشعراء] ، ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الشعراء]
٨	العنكبوت	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [العنكبوت]
٩	الأحزاب	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الأحزاب]
١٠	الصافات	﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الصافات]
١١	ص	﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [ص] ، ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ص] ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [ص]
١٢	الشورى	﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الشورى]

رابعاً: الجدول الإحصائي لهبات الرحمن في القرآن:

	إبراهيم عليه السلام	موسى عليه السلام	زكريا عليه السلام	مريم عليها السلام	أيوب عليه السلام	داود عليه السلام	سليمان عليه السلام	محمد ﷺ	أهل العلم رضي الله عنهم	عباد الرحمن رضي الله عنهم	للناس أجمعين رضي الله عنهم
آل عمران			♣ ٣٨						♣ ٨		
الأنعام	♣ ٨٤										
إبراهيم	♣ ٣٩										
مريم	♣ ٤٩،٥٠	♣ ٥٣	♣ ٥	♣ ١٩							
الأنبياء	♣ ٧٢		♣ ٩٠								
الفرقان										♣ ٧٤	
الشعراء	♣ ٨٣	♣ ٢١									
العنكبوت	♣ ٢٧										
الأحزاب								♣ ٥٠			
الصافات	♣ ١٠٠										
ص					♣ ٤٢	♣ ٣٠	♣ ٣٥				
الشورى											♣ ٤٩

من الجدول السابق نلاحظ أن:

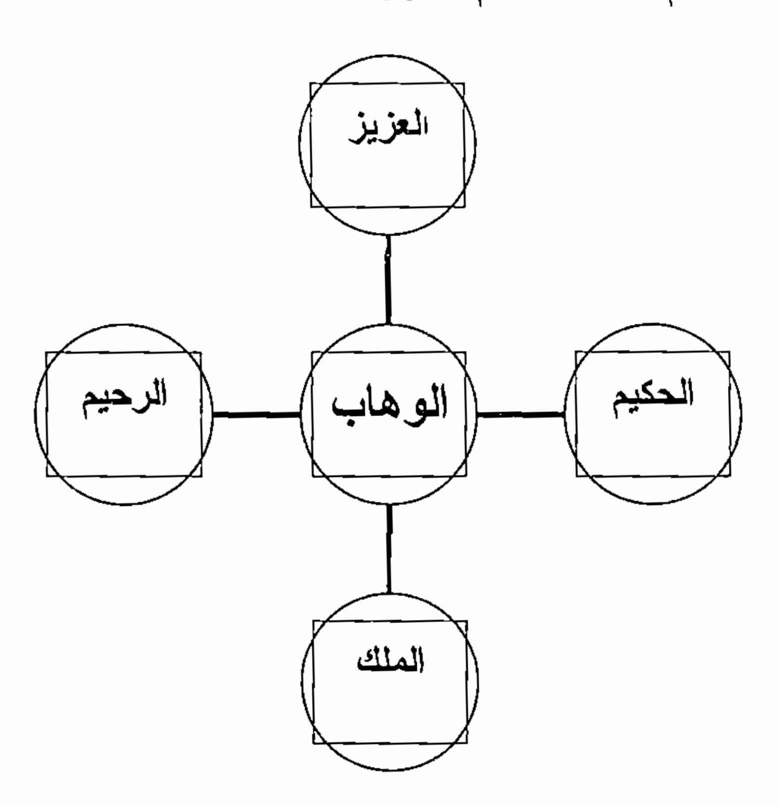
* الهبة تكررت إحدى وعشرين مرة في القرآن الكريم

* إبراهيم عليه السلام حاز على أكثر من ثلث العدد بمفرده(٨ مرات) كونه أبا الأنبياء.

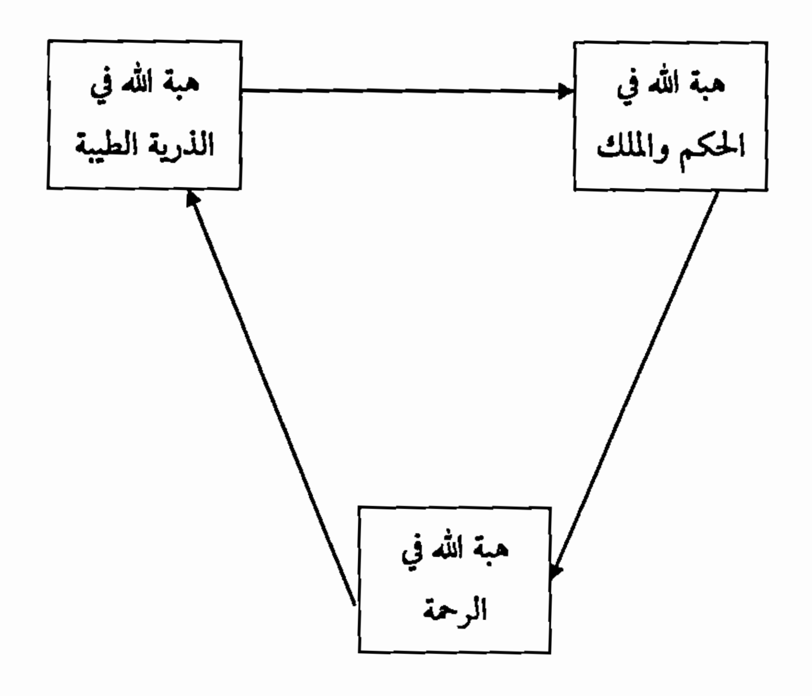
خامساً: هبات الوهاب المنان للأنبياء وعباد الرحمن:

من الجدول الإحصائي لهبات الرحمن في القرآن نجد أننا رتبنا الأنبياء والمرسلين وعباد الرحمن حسب ترتيب الصفات التي تستوجب الهبة من الله، وسوف نبدأ إن

شاء الله تعالى بالتحليل الموضوعي لكل هبة على حدة في ضوء الصفة، وليس الهدف سرد قصص الأنبياء وإنما إلقاء الضوء على كيفية الحصول على عطاءات الله الممدودة ، لكل من أطاعه ونصر دينه . وكما بينا سابقاً أن اسم الله الوهاب يعمل في مجال أسماء الله تعالى. الرحيم ، الملك ، الحكيم ، العزيز.



الأسماء المقترنة باسم - الله تعالى - الوهاب

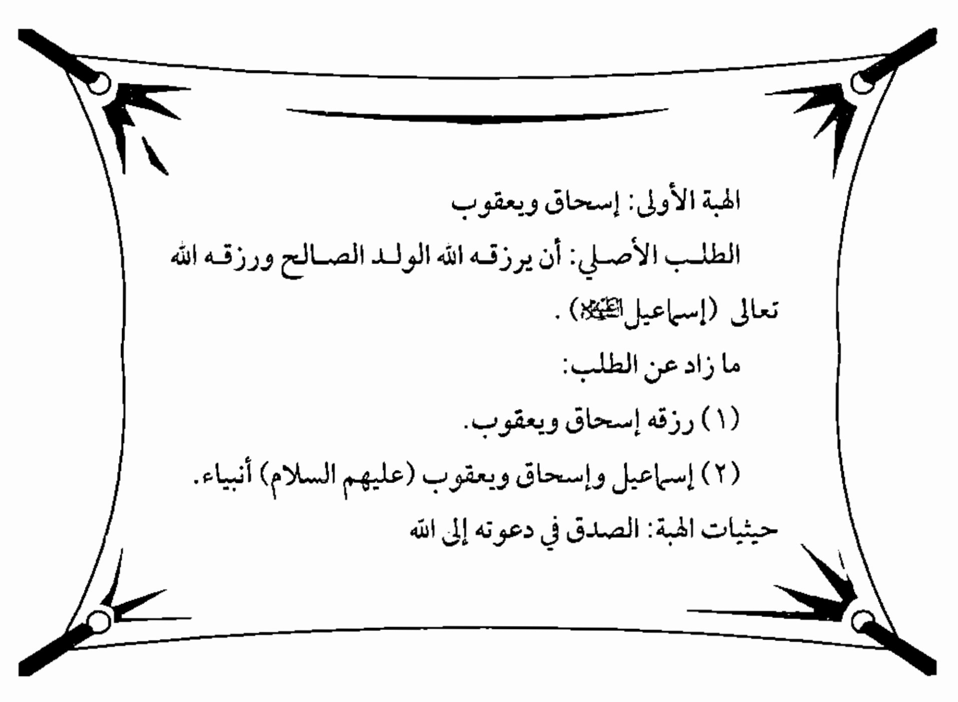


مجال هبة الله تعالى لخلقه

هبة الله لإبراهيم عليه السلام

مواطن هبة الله لإبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم :

السورة	الآية
الأنعام	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنعام]
إبراهيم	﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [إبراهيم]
مريم	﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾ [مريم]
الأنبياء	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأنبياء]
الشعراء	﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الشعراء]
العنكبوت	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [العنكبوت]
الصافات	﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الصافات]
المجموع	٨ مرات



قال تعالى:

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾ [مريم].

لاحظ الكلمات التي فوق الخط، لنلقي الضوء أولاً على كلمة «صِدِّيقًا» كشرط من شروط الحصول على الهبة من الله تعالى، إنّ كلمة «صديقاً»، الصديق صيغة

مبالغة من الصدق فالصِدِّيق هو الذي يصدق باستمرار فحديثه كله صدق، إذ أنّ الفرق بين صادق وصديق شاسع جداً كما أنّ الفرق بين كاذب وكذاب شاسع جداً أيضاً ويكون لدينا هنا أربعة كلمات لتوضيح ذلك وهم :صادق ،كاذب، صديق، كذّاب.

صادق	هو الذي إذا تحدّث كان صدقه أكثر من كذبه
كاذب	هو الذي إذا تحدّث كان كذبه أكثر من صدقه
صِدِّيق	هو الذي لا يكذب أبدا
كذّاب	هو الذي لا يصدق أبدا

ملاحظة إذا أضيف إلى صادق كلمة أخرى فهي بمثابة الصديق مثل قول الله تعالى ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ ﴾ [مريم].

وعن الجنيد في قوله تعالى : ﴿ لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡ ﴾ قال : يسأل الصادقين عند أنفسهم عن صدقهم عند ربهم .

اعلم أن لفظ الصدق يستعمل في ستة معان : صدق في القول ، وصدق في النية والإرادة ، وصدق في العزم ، وصدق في الوفاء بالعزم وصدق في العمل ، وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها ، فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق لأنه مبالغة في الصدق.

وقال وهب بن منبه : وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفاً كان صلحاء بني إسرائيل يجتمعون فيقرءونها ويتدارسونها : «لا كنز أنفع من العلم ، ولا مال أربح من الحلم ، ولا حسب أوضع من الغضب ، ولا قرين أزين من العمل ، ولا رفيق أشين من الجهل ، ولا شرف أعز من التقوى ، ولا كرم أوفى من ترك الهوى ، ولا عمل أفضل من الفكر ، ولا حسنة أعلى من الصبر ، ولا سيئة أخزى

من الكبر ، ولا دواء ألين من الرفق ، ولا داء أوجع من الخرق ، ولا رسول أعدل من الحق ، ولا دليل أنصح من الصدق ، ولا فقر أذل من الطمع ، ولا غنى أشقى من الجمع ، ولا حياة أطيب من الصحة ، ولا معيشة أهنأ من العفة ، ولا عبادة أحسن من الخشوع ، ولا زهد خير من القنوع ، ولا حارس أحفظ من الصمت ، ولا غائب أقرب من الموت».

عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «**إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا**» رواه البخاري

مظاهر صدق إبراهيم ﷺ في ضوء قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ [مريم] .

(١) توحيد الله تعالى، ونبذ تعدد الآلهه.

(٢) حب الخير للخير، وذلك من كمال الإيمان.

(٣) تقديم النصيحة في الله ولله.

(٤) الخوف على الأمة من عذاب الله.

(٥) الدعاء لغير المهتدين والظالمين بالهداية.

(٦) الهجرة من أجل قضية التوحيد، والفرار عند الخوف على الدين.

وهذا كله يقع في مجال صدق الدعوة إلى الله.

ثمرة الصدق :

﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ ﴾ [مريم]

التفسير الموضوعي:

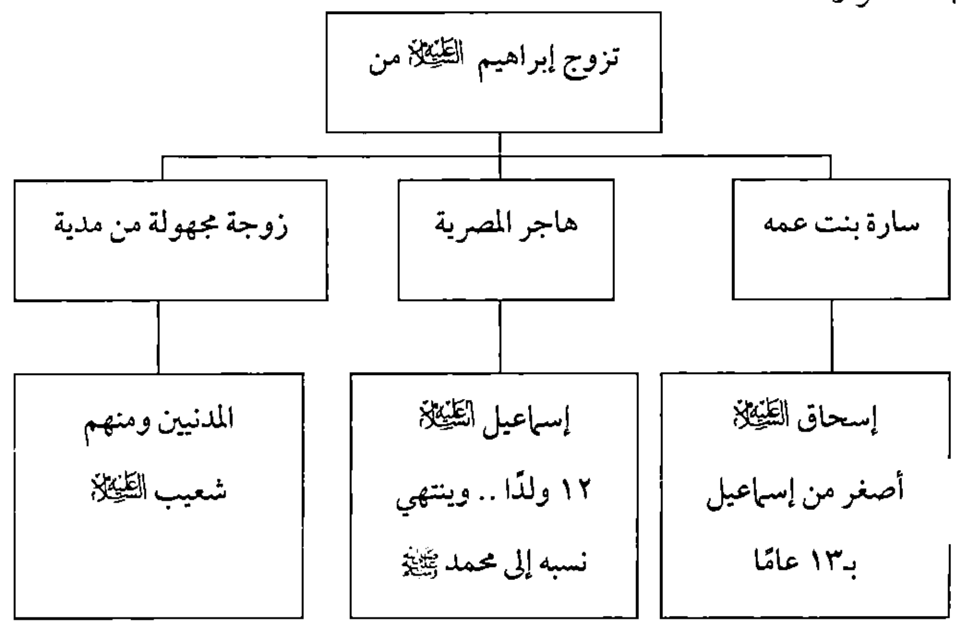
لاحظ أن أي كلمة بعد كلمة وهب (وهبنا) في القرآن الكريم تكون زيادة عن الطلب كما جاء في المفهوم الشرعي لكلمة هبة، فإذا تأملنا قوله تعالى: ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ ونعلم أنّ إسماعيل عليه السلام هو ولده الأكبر، ولم يذكر هنا في الآية، فأين إسماعيل عليه السلام ؟!!.... هذا يدلنا على أنّ إبراهيم عليه السلام قد طلب من الله طلب، ولبى الله تعالى دعائه وندائه... ثم أفاض الله عليه وزاده على طلبه بإسحاق ويعقوب عليهما السلام، أي أنّ إسحاق ويعقوب عليهما السلام (هبة).. أي زيادة عن الطلب نتيجة صدقه في دعوته مع الله،ويؤكد ذلك قول الله تعالى:

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأنبياء] تأمل كلمة نَافِلَةً أي(زيادة)... سبحان الله الوهاب!!!. وحتى تكتمل الصورة في هبة الله عز وجل لإبراهيم عليه السلام نرجع إلى مواطن ذكر الهبة في القرآن الكريم

تأمّل أيضاً أيها القارئ الكريم قول الله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [العنكبوت] إنها جاءت أيضاً في سورة العنكبوت...وتأمّل أيضاً قول الله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنعام]

إذاً هناك أربعة سور في القرآن الكريم (الأنعام ـ مريم ـ الأنبياء ـ العنكبوت) ذكرت صراحةً إسحاق ويعقوب عليهما السلام بعد كلمة (ووهبنا ـ وهبنا له) ولم يأتي ذكر إسماعيل عليه السلام مع أنّه أكبر من إسحاق بثلاثة عشر عاماً. لكن ما شأن ذكر إسماعيل في قوله تعالى﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [إبراهيم] ؟. مع أنّ إسماعيل عليه السلام طلبه الأول كما جاء في قوله تعالى: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الصافات]. والإجابة عن هذا السؤال أنّ هذا من أدب وتواضع الأنبياء مع الله فقد اعتبر إبراهيم عليه السلام إسماعيل هبة كونه كان كبيراً وأعطاه الله جل جلاله الولد الصالح.

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ولد له إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة . وإسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة. وقال سعيد بن جبير رحمه الله : بشر إبراهيم بإسحاق بعد عشر ومائة سنة .



ولنضع السورتين (إبراهيم،الصافات). أمام أعيننا لنرى الترابط بينهما

السورة	الآية
إبراهيم	﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [إبراهيم]
الصافات	﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الصافات]

في سورة إبراهيم قوله تعالى: ﴿هَبَ لِى﴾ اعترافا بعرفان الله تعالى له.

في سورة الصافات قوله تعالى: ﴿هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ لنقف أولاً مع سورة الصافات، فإبراهيم عليه السلام قال من الصالحين مطلقة، ونجد أن الله تعالى قد لبى طلبه وكانت كل ذريته صالحين كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنعام]. فأين الهبة إذاً؟،والتي تأتي بعد اللفظ!!.

نلاحظ أنّ إبراهيم عليه السلام لم يطلب من الله أن يكون أولاده أنبياء، وقد جعلهم الله أنبياء وهم (إسماعيل وإسحاق و....) وهذا زيادة عن الطلب

ثم أراد الله سبحانه وتعالى أن يمن عليهم برحمته على أولاده وأن يجعل لهم لسان صدق ، وأن يكون حالهم حال أبيهم فقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾ [مريم] أي أثنينا عليهم ثناء حسنا؛ لأن جميع الملل تحسن الثناء عليهم. واللسان يذكر ويؤنث.

قال تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الشعراء]

قال الراغب في المفردات : اللسان : الجارحة وقوته.

معنى الآية كما فسرها صاحب الأمثل : « أي اجعلني بحال أذكر معها في الأجيال الآتية .... ويحفظ منهجي ويستمر في المستقبل، ولأكون قدوة حسنة للآخرين، ومؤسس مبدأ يتعلم به من بعدي طريق الوصول إليك ... [1] »

وذكر صاحب الميزان رأيا مشابها : « إضافة اللسان إلى الصدق تفيد اختصاصه بالصدق بحيث لا يتكلم إلا به، وظاهر جعل اللسان له لأن يكون مختصًا به كلسانه لا يتكلم إلا بما في ضميره مما يتكلم هو به فيؤول المعنى إلى مسألة أن يبعث الله في الآخرين من يقوم بدعوته ويدعو الناس إلى ملته وهي دين التوحيد[2] »

إن في استخدام مفردة اللسان مجاز مرسل ، إذ أن المراد هو الذكر، وذكر اللسان مجاز لأنه سببه، فالعلاقة سببية.

لا يمكن استبدال كلمة (لسان) بكلمة أخرى، حيث أن كلمة (ذكر حسن) وما شابهها لا تعطي نفس الدلالة.

كذلك فإن إضافة (اللسان) إلى الصدق أعطت المعنى قوة.

قال الراغب في المفردات:

« مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معاً، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقاً تاماً، بل إما أن لا يوصف بالصدق؛ وإما أن يوصف تارة بالصدق، وتارة بالكذب على نظرين مختلفين، كقول كافر إذا قال من غير اعتقاد: محمد رسول الله، فإن هذا يصح أن يقال: صدق، لكون المخبر عنه كذلك، ويصح أن يقال: كذب، لمخالفة قوله ضميره، وبالوجه الثاني إكذاب الله تعالى المنافقين حيث قالوا: ﴿نَشْهَدُ

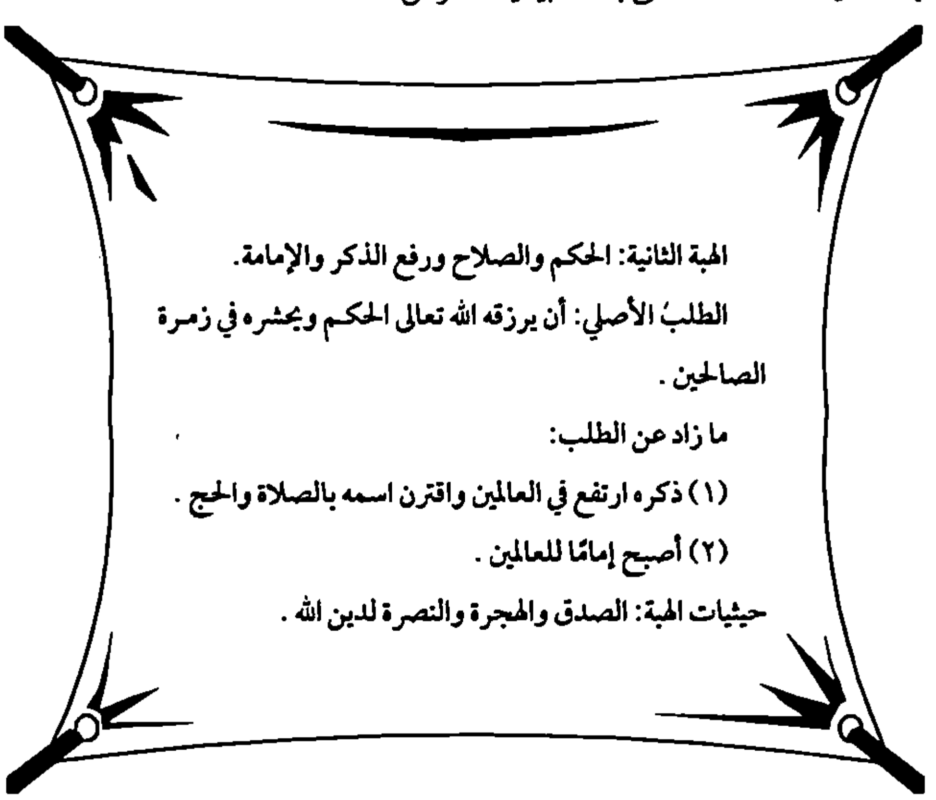
(١) الأمثل: المجلد١١.

(٢) الميزان: المجلد ١٥.

إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ [المنافقون١][1] .

فنبي الله إبراهيم يريد من الذاكرين ان يتكلموا بها في ضمائرهم مما يتكلم به هو، فتأمل دقة اختيار اللفظ، والعلاقة المتينة بينه وبين تحقيق المعنى المراد . جيء بـ[الآخرين] معرفة للاستغراق.

تأمل التناسق الجميل بين هذه الكلمات، وتأمل كيف صيغ الطلب على أبلغ وجه، فهذه الآية قد اشتملت على بلاغة بيانية ، تخرس عندها الألسنة.



الهبة الثانية: الحكم والصلاح ورفع الذكر والإمامة.

الطلبُ الأصلي: أن يرزقه الله تعالى الحكم ويحشره في زمرة الصالحين .

ما زاد عن الطلب:

(١) ذكره ارتفع في العالمين واقترن اسمه بالصلاة والحج .

(٢) أصبح إمامًا للعالمين .

حيثيات الهبة: الصدق والهجرة والنصرة لدين الله .

لكي نلقي الضوء على الهبة الثانية نتأمّل قول الله تعالى: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا

(١) المفردات للراغب الأصفهاني.

وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ [الشعراء]

أود إعطاء شرح موجز للآية الشريفة، سعيًا للوصول إلى إدراك الجمال البلاغي الذي اشتملت عليه هذه الآية. في هذه الآية يدعو نبي الله إبراهيم ربه بأن يهبه الحكم ،وأن يلحقه بالصالحين.

ما المقصود بالحكم؟ وما المقصود بالإلحاق بالصالحين؟

قال الراغب الأصفهاني في تعريفه للحكمة :« إصابة الحق بالعلم والعقل»[١].

فالحكمة هي القيم والمعايير التي تمكن الإنسان من معرفة الحق والتفريق بينه وبين الباطل.

قال الطبرسي: « الحكم بيان الشيء على ما تقتضيه الحكمة، وقيل إنه العلم»[٢].

قال صاحب الميزان معقبًا على معنى (الحكم) : « إصابة النظر والرأي في المعارف الاعتقادية والكلية وتطبيق العمل عليها.... وهو وحي التسديد والهداية إلى الصلاح في مقام العمل» [٣].

كما عقب على (الصالحين) بقوله : « وإذا كان (الصالحين) غير مقيد بالعمل ونحوه فالمراد به الصالحون ذاتًا لا عملا فحسب وإن كان صلاح الذات لا ينفك عن صلاح العمل» [٤].

لقد طلب نبي الله إبراهيم من الله أمرين : أن يأتيه الحكم وهو أن يمنحه الحكمة

---

(١) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني.

(٢) مجمع البيان للطبرسي، الجزء ٧.

(٣) الميزان للعلامة الطباطبائي، المجلد ١٥

(٤) نفس المصدر السابق.

النظرية، وأن يلحقه بالصالحين وهي أن يمنحه ما يعبر عنه بالحكمة العملية.

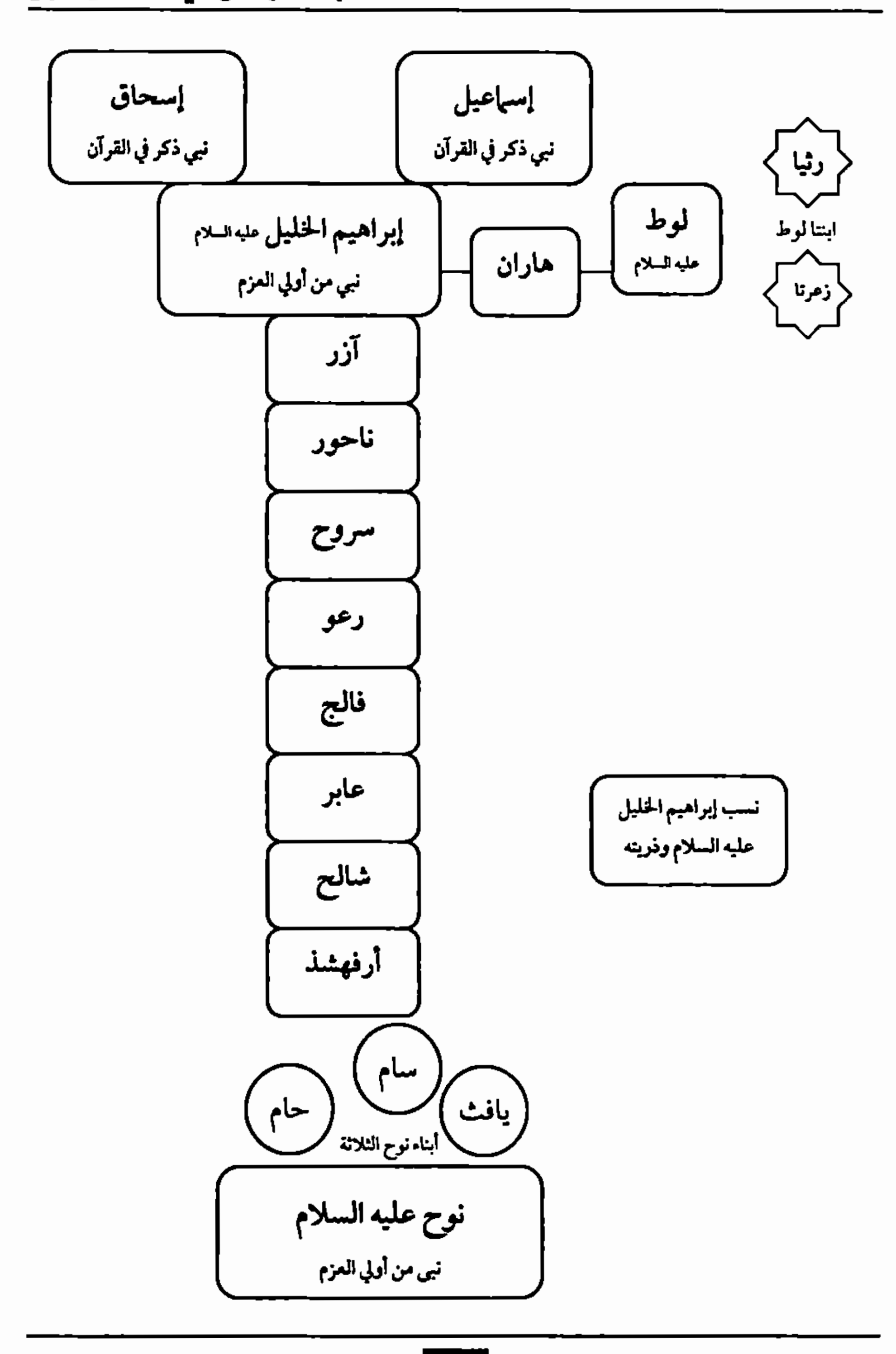
الجانب البلاغي يكمن في ترتيب فقرات النص القرآني، حيث تم تقديم ﴿ هَبْ لِي حُكْمًا ﴾ على ﴿ وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ وفي هذا التقديم لفتة جمالية، تكمن في أن الحكمة النظرية مقدمة على الحكمة العملية.

الحكم أخص مورداً من الصلاح، فلذلك جيء به أولا.

لقد ابتلى إبراهيم عليه السلام وهاجر وصبر من أجل قضية التوحيد لذلك نصره الله تعالى وأعطاه زيادة عما طلبه فأصبح اسمه يتردد في الصلوات المكتوبة والنافلة أبد الدهر، فضلاً على أنّ الحج والعمرة اقترن به ، وكذلك عيد الأضحى.

خريطة

هجرة إبراهيم عليه السلام


إسحاق
نبي ذكر في القرآن
إسماعيل
نبي ذكر في القرآن
رثيا
إبراهيم الخليل عليه السلام
نبي من أولي العزم
هاران
لوط
عليه السلام
ابنتا لوط
زعرتا
آزر
ناحور
سروح
رعو
فالج
عابر
شالح
أرفهشذ
نسب إبراهيم الخليل
عليه السلام وذريته
سام
حام
يافث
أبناء نوح الثلاثة
نوح عليه السلام
نبي من أولي العزم

يعقوب عليه السلام

أنجب الأسباط (12)

روبيل – يشجر – ربالون – لاوى – مقتالى – جار – يهوذا – يوسف – بنيامين – افران

لاوى ← فاهت
فاهت ← عمران – يصهر
عمران ← مريم – هارون – موسى
هارون ← العيزار
منخاصي
ياسين
الياس
اليسع
يصهر ← قارون

يهوذا ← ايشا (يس)
داود
سليمان
عمران – زكريا
عمران: تزوج حنه وأنجب
مريم بنت عمران
عيسى ابن مريم
زكريا: تزوج اليصابات أخت حنه وأنجب
يحى

بنيامين ← الملك طالوت

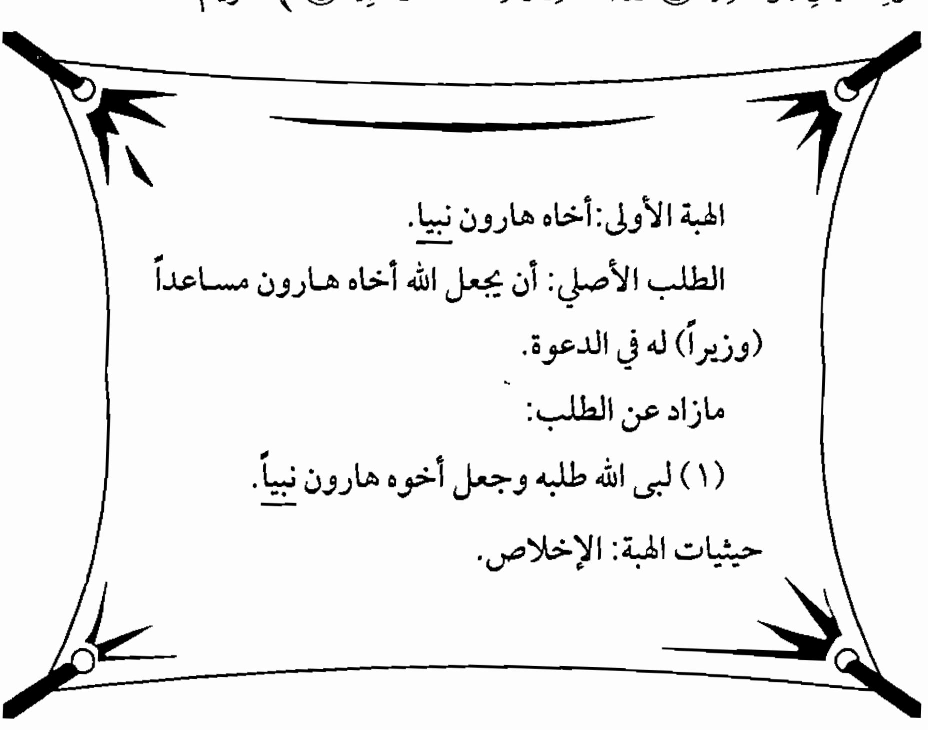


هبة الله ﷻ لموسى ﷺ

مواطن هبة الله لموسى ﷺ في القرآن الكريم

السورة	الآية
مريم	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴾ [مريم]
الشعراء	﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الشعراء]

قال تعالى ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴾[مريم].



وتأتي الصفة الثانية وهي الإخلاص، في الدعوة إلى الله تعالى، فحينما أمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يذهب إلى فرعون،طلب موسى عليه السلام من ربه،أن يشرح له صدره ،وييسر له أمره، وأن يكون أخوه هارون في صحبته ليعينه على أمر الدعوة.

قال تعالى: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ [طه].

لما أوحى الله إلى موسى، ونبأه، وأراه الآيات الباهرات، أرسله إلى فرعون، ملك مصر، فقال: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ أي: تمرد وزاد على الحد في الكفر والفساد والعلو في الأرض، والقهر للضعفاء، حتى إنه ادعى الربوبية والألوهية -قبحه الله- أي: وطغيانه سبب لهلاكه، ولكن من رحمة الله وحكمته وعدله، أنه لا يعذب أحداً، إلا بعد قيام الحجة بالرسل، فحينئذ علم موسى عليه السلام أنه تحمل حملاً عظيمًا، حيث أُرسل إلى هذا الجبار العنيد، الذي ليس له منازع في مصر من الخلق، وموسى عليه السلام، وحده، وقد جرى منه ما جرى من القتل، فامتثل أمر ربه، وتلقاه بالانشراح والقبول، وسأله المعونة وتيسير الأسباب، التي [هي] من تمام الدعوة، فقال: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴾ أي: وسعه وأفسحه، لأتحمّل الأذى القولي والفعلي، ولا يتكدر قلبي بذلك، ولا يضيق صدري، فإن الصدر إذا ضاق، لم يصلح صاحبه لهداية الخلق ودعوتهم.

قال الله لنبيه محمد ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾وعسى الخلق يقبلون الحق مع اللين وسعة الصدر وانشراحه عليهم.

﴿وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴾ أي: سهل عليَّ كل أمر أسلكه وكل طريق أقصده في سبيلك،

وهون عليّ ما أمامي من الشدائد، ومن تيسير الأمر أن ييسر للداعي أن يأتي جميع الأمور من أبوابها، ويخاطب كل أحد بما يناسب له، ويدعوه بأقرب الطرق الموصلة إلى قبول قوله.

﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴾ وكان في لسانه ثقل لا يكاد يفهم عنه الكلام، كما قال المفسرون، كما قال الله عنه أنه قال: ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا ﴾ فسأل الله أن يحل منه عقدة، يفقهوا ما يقول فيحصل المقصود التام من المخاطبة والمراجعة والبيان عن المعاني.

﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ ﴾ أي: معينا يعاونني، ويؤازرني، ويساعدني على من أرسلت إليهم، وسأل أن يكون من أهله، لأنه من باب البر، وأحق ببر الإنسان قرابته، ثم عينه بسؤاله فقال: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ﴾ أي: قوِّني به، وأشد به ظهري، قال الله: ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا ﴾ ﴿ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴾.

أي: في النبوة، بأن تجعله نبيًا رسولا، كما جعلتني.

ولهذا قال بعض السلف : ليس أحد أعظم مِّنة على أخيه من موسى على هارون ، عليهما السلام ، فإنه شفع فيه حتى جعله الله نبيًا ورسولا معه إلى فرعون وملئه

ثم ذكر الفائدة في ذلك فقال: ﴿ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ علم عليه الصلاة والسلام، أن مدار العبادات كلها والدين، على ذكر الله، فسأل الله أن يجعل أخاه معه، يتساعدان ويتعاونان على البر والتقوى، فيكثر منهما ذكر الله من التسبيح والتهليل، وغيره من أنواع العبادات.

﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴾ تعلم حالنا وضعفنا وعجزنا وافتقارنا إليك في كل الأمور،

وأنت أبصر بنا من أنفسنا وأرحم، فمن علينا بما سألناك، وأجب لنا فيما دعوناك.

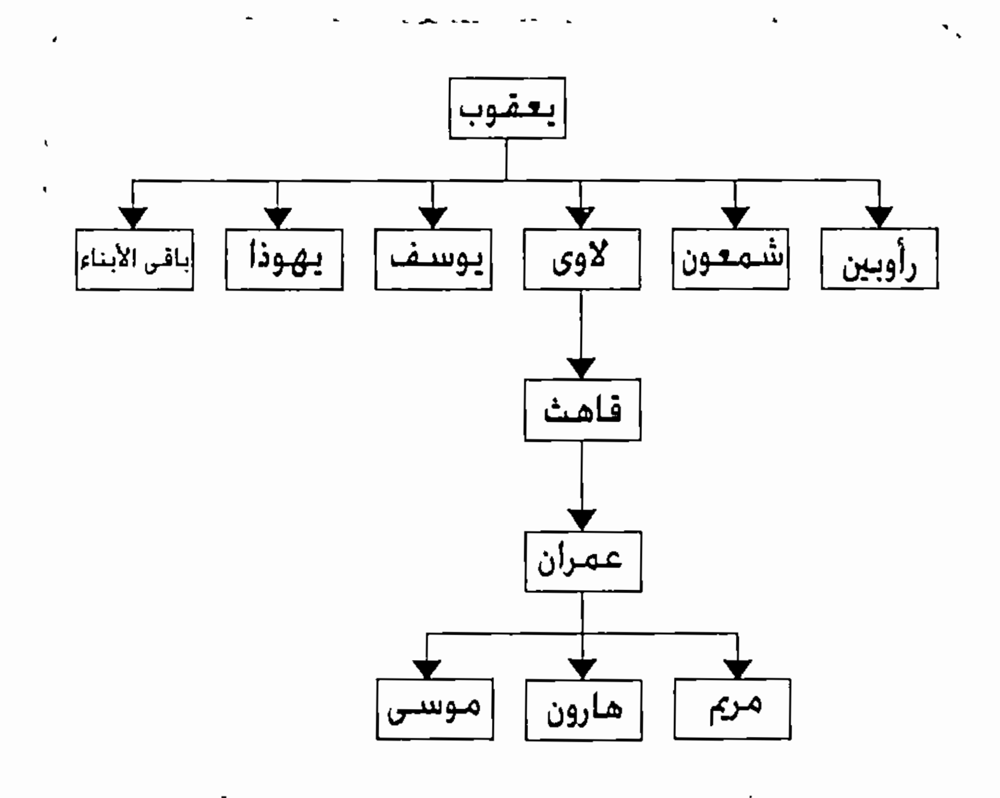
فقال الله: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَـٰمُوسَىٰ﴾ أي: أعطيت جميع ما طلبت، فسنشرح صدرك، ونيسر أمرك، ونحل عقدة من لسانك، يفقهوا قولك، ونشد عضدك بأخيك هارون، ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

وهذا السؤال من موسى عليه السلام، يدل على كمال معرفته بالله، وكمال فطنته ومعرفته للأمور، وكمال نصحه، وذلك أن الداعي إلى الله، المرشد للخلق، خصوصًا إذا كان المدعو من أهل العناد والتكبر والطغيان يحتاج إلى سعة صدر، وحلم تام، على ما يصيبه من الأذى، ولسان فصيح، يتمكن من التعبير به عما يريده ويقصده، بل الفصاحة والبلاغة لصاحب هذا المقام، من ألزم ما يكون، لكثرة المراجعات والمراوضات، ولحاجته لتحسين الحق، وتزيينه بما يقدر عليه، ليحببه إلى النفوس، وإلى تقبيح الباطل وتهجينه، لينفر عنه، ويحتاج مع ذلك أيضًا، أن يتيسر له أمره، فيأتي البيوت من أبوابها، ويدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، يعامل الناس كلاً بحسب حاله، وتمام ذلك، أن يكون لمن هذه صفته، أعوان ووزراء، يساعدونه على مطلوبه، لأن الأصوات إذا كثرت، لا بد أن تؤثر، فلذلك سأل عليه الصلاة والسلام هذه الأمور فأُعطيها.

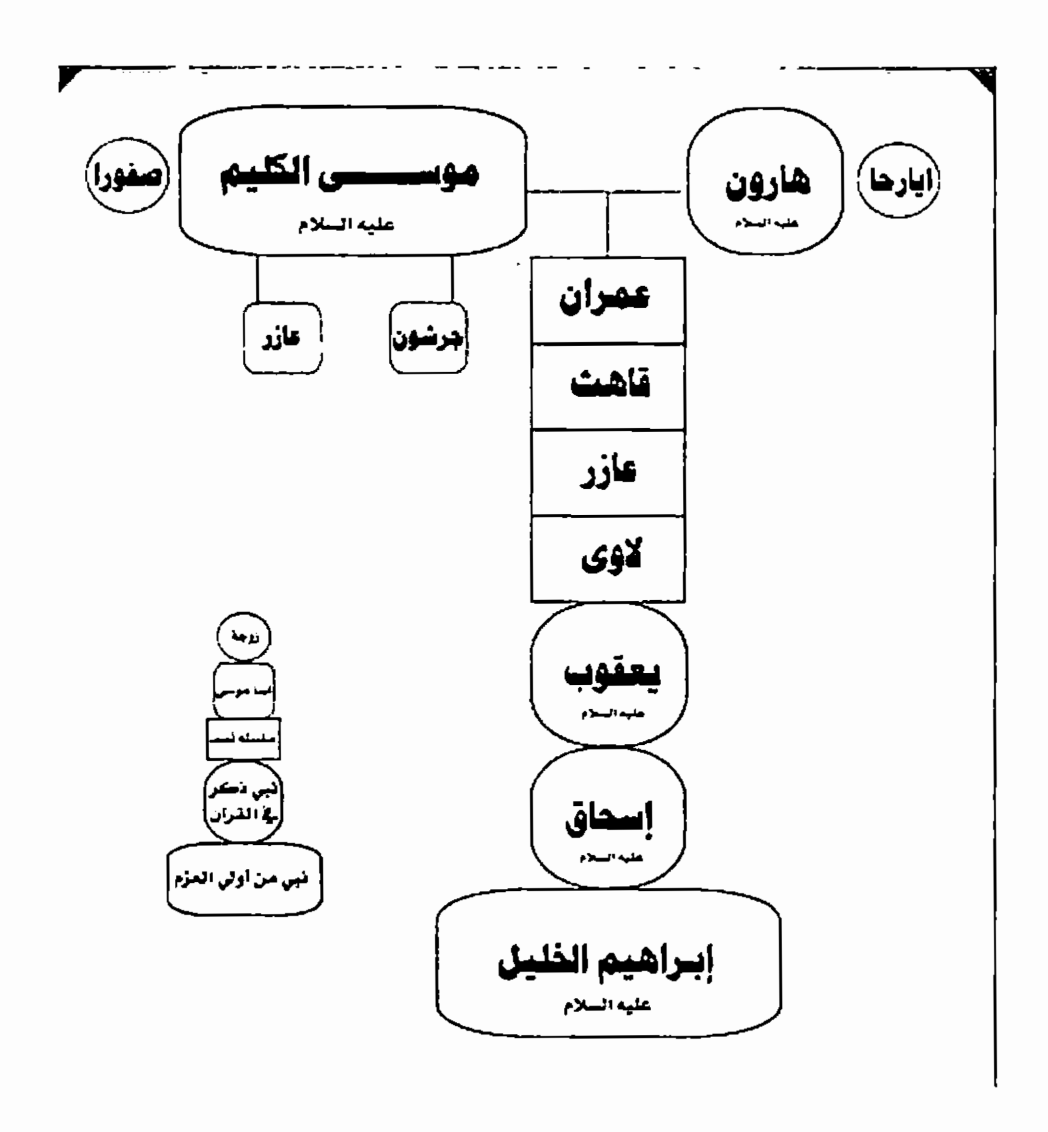
قال وهب بن منبه: قال الله لموسى: «انطلق برسالتي فإنك بسمعي وعيني، وإن معك أيدي ونصري، وإني قد ألبستك جنة من سلطاني لتستكمل بها القوة في أمري، فأنت جند عظيم من جندي بعثتك إلى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي، وأمن مكري، وغرته الدنيا عني حتى جحد حقي، وأنكر ربوبيتي وزعم أنه لا يعرفني، فإني أقسم بعزتي لولا القدر الذي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار يغضب لغضبه السموات والأرض والجبال والبحار، فإن أمرت السماء حصبته،

وإن أمرت الأرض ابتلعته، وإن أمرت الجبال دمرته، وإن أمرت البحار غرقته، ولكنه هان عليَّ وسقط من عيني ووسعه حلمي واستغنيت بما عندي وحقي إني أنا الغني لاغني غيري، فبلغّه رسالتي، وادعه إلى عبادتي، وتوحيدي وإخلاصي وذكِّرّه أيامي، وحذِّره نقمتي وبأسي، وأخبره أنه لا يقوم شيء لغضبي، وقل له فيما بين ذلك قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى، وأخبره أني إلى العفو والمغفرة أسرع مني إلى الغضب والعقوبة، ولا يروعنك ما ألبسته من لباس الدنيا، فإن ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس إلا بإذني، وقل له أجب ربك فإنه واسع المغفرة وقد أمهلك أربعمائة سنة في كلها أنت مبارزه بالمحاربة، تسبه وتتمثل به، وتصد عباده عن سبيله، وهو يمطر عليك السماء، وينبت لك الأرض لم تسقم ولم تهرم ولم تفتقر ولم تغلب، ولو شاء الله أن يعجل لك العقوبة لفعل، ولكنه ذو أناة وحلم عظيم، وجاهده بنفسك وأخيك وأنتما تحتسبان بجهاده، فإني لو شئت أن آتيه بجنود لا قبل له بها لفعلت، ولكن ليعلم هذا العبد الضعيف الذي قد أعجبته نفسه وجموعه أن الفئة القليلة، ولا قليل مني، تغلب الفئة الكثيرة بإذني، ولا تعجبنكما زينته ولا ما متع به، ولا تمدا إلى ذلك أعينكما فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين، ولو شئت أن أزينكما من الدنيا بزينة ليعلم فرعون حين نظر إليها أن مقدرته تعجز عن مثل ما أوتيتما فعلت، ولكني أرغب بكما عن ذلك وأزويه عنكما، وكذلك أفعل بأوليائي وقديماً ما جرت عادتي في ذلك، فإني لأذودهم عن نعيمها وزخارفها كما يذود الراعي الشفيق إبلهُ عن مبارك العناء، وما ذاك لهوانهم عليَّ ولكن ليستكملوا نصيبهم في دار كرامتي سالماً موفراً لم تكلمه الدنيا، واعلم أنه لا يتزين لي العباد بزينة هي أبلغ فيما عندي من الزهد في الدنيا، فإنها زينة المتقين عليهم منها لباس يعرفون به من السكينة والخشوع، وسيماهم في وجوههم من أثر السجود، أولئك أوليائي حقاً حقاً، فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل قلبك ولسانك، واعلم أنه من

أهان لي ولياً أو أخافه فقد بارزني بالمحاربة وبادأني وعرض لي نفسه ودعاني إليها، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي، أفيظن الذي يحاربني أن يقوم لي، أم يظن الذي يعاديني أن يعجزني، أم يظن الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني، وكيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة لا أكل نصرتهم إلى غيري، رواه ابن أبي حاتم.



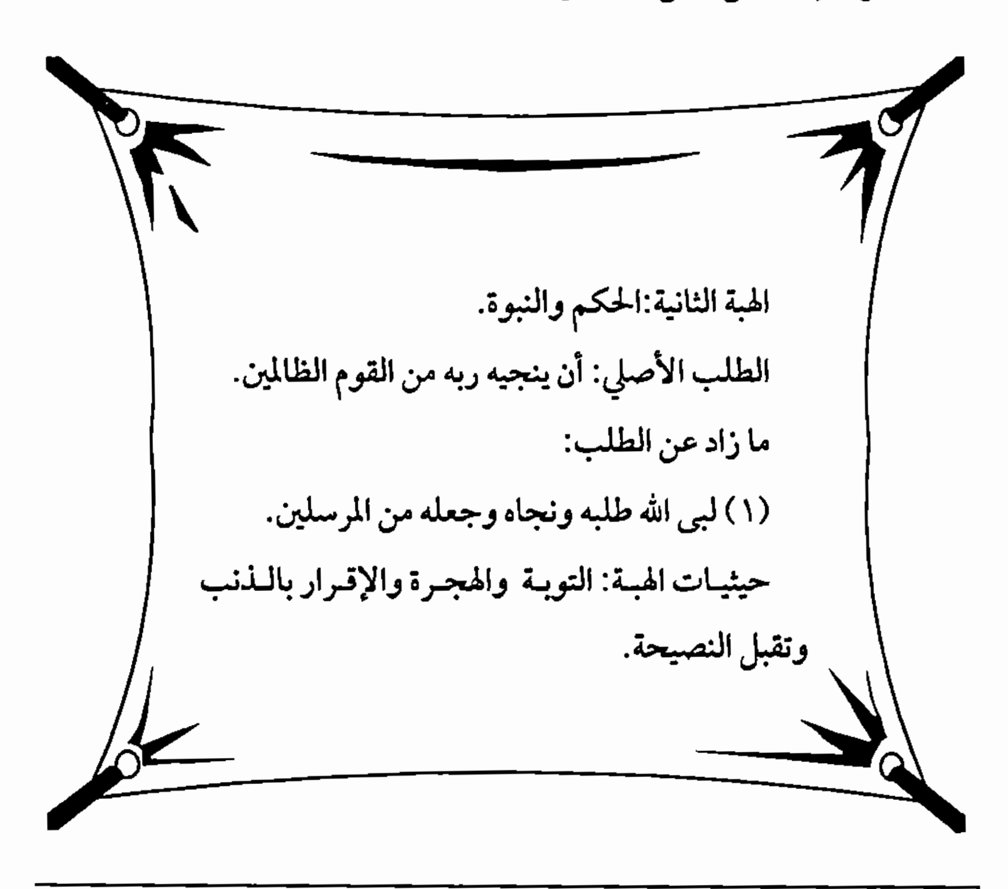
شجرة عائلة موسى عليه السلام



الخلاصة: إذا كان لسان حال موسى هو أن يجعل الله تعالى ،أخاه هارون نبياً والله تعالى أعلى وأعلم بذلك ،فإن موسى عليه السلام لم يطلبها من الله صراحةً ،وهذا من أدب الأنبياء في الدعاء، والجدول الإحصائي لهذه الآيات القرآنية يؤيد ذلك:

السورة	الآية
الشعراء	﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾
القصص	﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾
طه	﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ﴾

والله تعالى قد منّ عليه وجعل أخاه هارون نبياً ويشاركه في الدعوة والرسالة، وذلك ثمرة الإخلاص لدين الله تعالى.



الهبة الثانية: الحكم والنبوة.

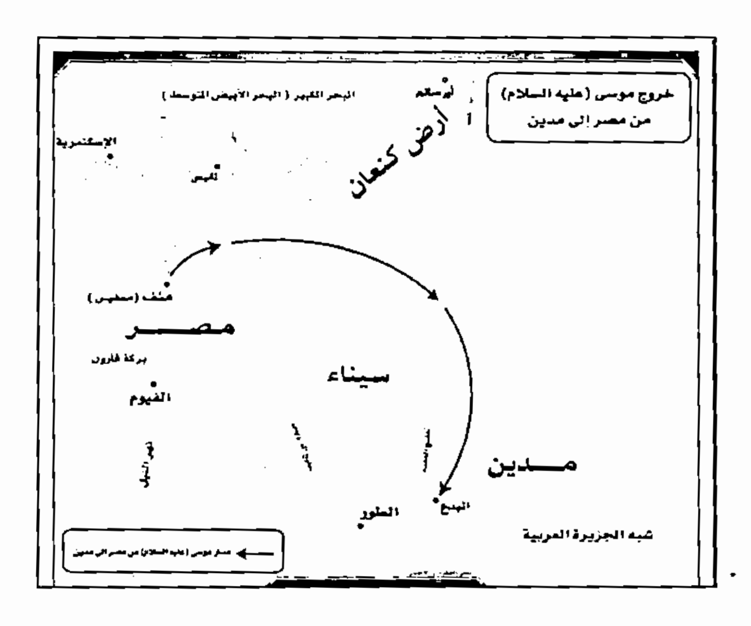
الطلب الأصلي: أن ينجيه ربه من القوم الظالمين.

ما زاد عن الطلب:

(١) لبى الله طلبه ونجاه وجعله من المرسلين.

حيثيات الهبة: التوبة والهجرة والإقرار بالذنب وتقبل النصيحة.

قال تعالى: ﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الشعراء] أي فخرجت من بينكم فارًّا إلى «مدين»، لـمَّا خفت أن تقتلوني بها فعلتُ من غير عَمْد، فوهب لي ربي تفضلا منه النبوة والعلم، وجعلني من المرسلين.



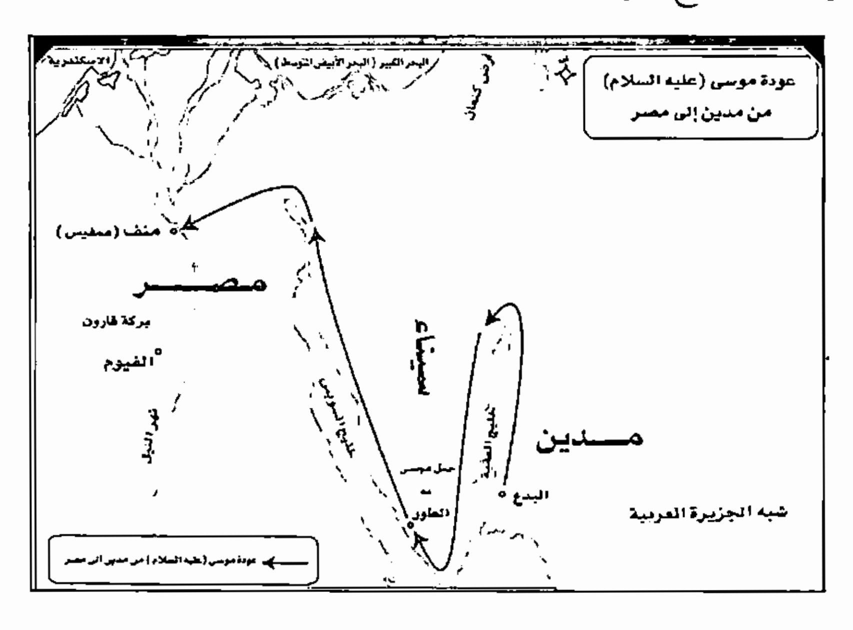
خريطة خروج موسى (عليه السلام) من مصر إلى مدين

فائدة: الإنسان حينما يقبل النصيحة من الحكماء يكون حكيمًا، فموسى عليه السلام قتل رجلاً من آل فرعون بالخطأ، واستغفر ربه، وحينما انتشر الخبر، وذهب زبانية فرعون للبحث عنه ، نصحه هذا الرجل المؤمن بأن يهاجر بيئة الظلم.

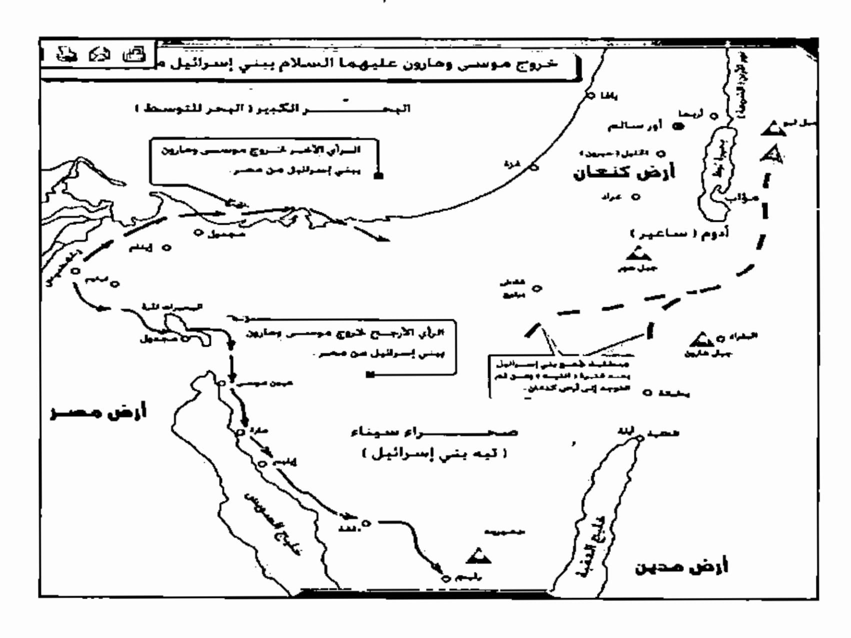
قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [القصص] .

فلـمّا امتثل موسى عليه السلام لقول الناصح الأمين وفر من بيئة الظلم، أمّنه الله تعالى،وتزوج ابنة الرجل الصالح ، ورجع إلى مصر ، وأوتي النبوة والحكم، ونصره

الله على أعدائه ورفع ذكره وأهلك الله عدوه أمامه.



خريطة عودة موسى عليه السلام من مدين إلى مصر



خريطة خروج موسى وهارون عليهما السلام ببني إسرائيل من أرض مصر

منهج الداعي إلى الله تعالى في ضوء قوله: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ .[طه].

أقول والله المعين: النجار له أدوات، والحداد له أدوات، وكل حرفي له أدوات يمارس بها مهنته، فإذا نقصت أداه نقص العمل، ولم يكون على الوجه الأكمل،وربما تعطل كليةً، وبذلك تتعطل المهمة، لقصور الصانع وضعف الهمة، فلو أخلص في عمله لأتمه على الوجه الذي يريده الله سبحانه وتعالى ويسارع بتوفير كل أدواته قبل البدأ في العمل.

وفي هذه الآيات الكريمة نجد أنّ موسى ﷺ يحرص على أن تكون عنده أدوات ومهام الداعي إلى الله، حتى يتم عمله على الوجه الذي يريده الله تعالى.

وتحتوي هذه الآيات في طياتها على كنوز الدعوة وأدوات الدعاه.

﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾: شرح الصدر يتضمن سعة الصدر، وهذا مرتبط بالحالة النفسية للداعي، فلا يصح، أن يقوم إنسان بالدعوة، وهو غير راض عن عمله بالدعوة، أو أن يكون مضطراً لتنفيذ أمر هام ، وهو مضطرب نفسياً.

واعلم أنّ: شرح الصدر= توافق نفسي+ تكيف نفسي.

فالتوافق النفسي يعرفه علماء التحليل النفسي بأنه: «قدرة المرء على تكوين علاقة مُرضية ومرغوبة بينه وبين نفسه ، وبينه وبين أسرته، بحيث يكون راضياً عن نفسه، متمتعاً بحياة خالية من الاضطرابات، يسلك سلوكاً غير شاذ، ليس هناك أي مخاوف تسيطر على دوافعه ورغباته».

أما التكيف النفسي: «هو قدرة المرء على تكوين علاقة مرغوبة بينه وبين بيئته الخارجية».

وهذان أمران متلازمان لشرح الصدر،لذلك فإنّ موسى عليه السلام طلبه من ربه، ولاسيما أنّه ذاهب إلى أكبر طاغية وجبّار في عصره، وربما يلاقي مايلاقيه الداعي من الأذى النفسي(عدوان لفظي) أو الأذي البدني، كما حدث لرسول الله ﷺ، وهذا يتطلب سعة صدر لكي تكتمل المهمة وتستمر الرسالة وتتحقق الفائدة حتى ولو على المدى البعيد. وعليه فالداعي يجب أن يعلم أنه سوف يلاقي أذى وهو في طريق الدعوة، ومن لم يصبيه أذى فإنه لم يرث شيئاً من ميراث النبوة.

ألم تعرف ماهو ميراث النبوة؟، إنه (النور...اليقين...العلم...الحكمة...الرشد ...الهداية ...فصل الخطاب...الإلهام...الإفهام...البصيرة ...العلم اللدني...و...).

﴿وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي﴾:إذ أن الإنسان لايستطيع أن يستغني عن الله تعالى في كل أمور حياته،حتى يذلل له الصعاب، وحينما سير الداعي لأمر هام مكلف به من قبل الله لابد وأن يستعين بالله ويسأله المعونة ولاسيما إذا كان الأمر جد عسير.

﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾ ﴿يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾: الداعي إلى الله يستحب أن تتوافر فيه الطلاقة اللغوية، لاسيما إن كان مسئولاً، وإن لم تتوافر فيه لغة القوم، الذي يريد أن يذهب إليهم، فلابد وأن يكون هناك دليل من المنطقة التي يدعو فيها، لكي يعرفه بأحوال الناس وعاداتهم، ويتحدث بلسانهم، وهذا ما طلبه موسى عليه السلام من ربه ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾ ليكون دليل معه دائماً ، حيث أن هارون عليه السلام عرف لهجات المصريين القدماء، ومكث في مصر أكثر من موسى عليه السلام ، ومن المعروف أن موسى ظل في مدين أكثر أو نحو عشر

سنوات، والدليل في الدعوة، يزيد من همة المسئول، كما كان حال رسول الله ﷺ وأبي بكر الصديق رضي الله عنه.

إذاً نلخص مقومات الداعي والتي هي من باب الإخلاص في الدعوة فيما يلي:

(١) التوافق والتكيف النفسي(شرح الصدر).

(٢) التوكل على الله والدعاء قبل وأثناء وبعد تأدية المهمة.

(٣) أخذ دليل معه من أهل المنطقة التي يدعو فيها.

(٤) حسن اختيار الدليل المناسب.

(٥) النية في إتمام العمل.

(٦) الدعوة له وللدليل بالتثبيت، وأن يكونا في الأجر سواء.

(٧) كثرة ومداومة الذكر والتسبيح لله تعالى.



هبة الله جل جلاله
لزكريا عليه السلام

مواطن هبة الله لزكريا عليه السلام في القرآن الكريم :

السورة	الآية
آل عمران	﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨)﴾
مريم	﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾
الأنبياء	﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي الْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ (٩٠)﴾



ثمرة المسارعة في الخيرات:

نحن هنا أمام لفظين في القرآن الكريم وهما:

المسارعة في الخيرات، والمسابقة في الخيرات،وهناك فرق شاسع بين الكلمتين طبقاً للطاقة الإيهانية ومستوى العبودية للعبد الموحد لله تعالى،ولنضع أولاً الجداول الإحصائية لهما.

■ الجدول الإحصائي للمسارعة في الخيرات

السورة	الآية
آل عمران	﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) ﴾ ﴿ ۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) ﴾
الأنبياء	﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (٩٠) ﴾
المؤمنون	﴿ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١) ﴾

■ الجدول الإحصائي للمسابقة في الخيرات

السورة	الآية
البقرة	﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٤٨) ﴾
المائدة	﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) ﴾
فاطر	﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) ﴾
الحديد	﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) ﴾

ألفاظ المسارعة والمسابقة في اللغة

المسارعة لغة :

السين والراء والعين : « أصل صحيح يدل على خلاف البطء، فالسريع خلاف البطيء وسَرْعان الناس أوائلهم الذين يتقدمون سراعاً، وسرعان الخيل أوائلها، ويقال أسرع وسارع أي خف وبادر، ومنه قوله تعالى: ﴿ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] يمضون نحوها مسرعين مبادرين، وتسرع بالأمر بادر به، والمسارعة إلى الشيء : المبادرة إليه، والمتسرع المبادر إلى الشر خاصة» .

ويقال هؤلاء مساريع في الحرب، أي جمع مسراع، وهو الشديد الإسراع إلى النضال، وسارع الأمر بمعنى أسرع، وجاء سَرعاً أي سريعاً .

ومنه قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴾ [ق: ٤٤]. وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا ﴾ [المعارج ٤٣]. ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المؤمنون].

ويقال أسرع الرجل إذا سَرُعت دابته كما قالوا أخف إذا كانت دابته خفيفة .

وإذا نحن تأملنا هذه المعاني لمادة سرع نجد فيها معنى المبادرة والتقدم والسبق والخفة إلى الشيء، ومن خف في طلب شيء كان سهلاً عليه، في متناوله، متمكناً منه، إلى ما في ذلك مما يخالف معنى البطء، والتثاقل، ويدل على علو الهمة، والإقبال على الأمر .

ولذا نجد القرآن الكريم يثني على أولئك الذين يسارعون في الخيرات، أي يبادرون بخفة ونشاط وهمة وتقدم وسبق.على عكس أولئك الذين يتثاقلون إذا جاءهم الأمر ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ

إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾.[التوبة:٣٨]. قال الزمخشري: «ومعنى المسارعة إلى المغفرة والجنة: الإقبال على ما يستحسن» . كما يتضمن معنى المسارعة الجد والرغبة في الأمر . فالمسارعة إذن: «المبادرة والمضي إلى الأمر بجد وهمة ونشاط ورغبة وإقبال والتقدم فيه متمكناً من غير بطء ولا توان ولا تقصير وقد يكون في الخير، وقد يكون في الشر، كما في قوله تعالى :

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ [المائدة:٥٢].

فهؤلاء المنافقون يبادرون ويخفون نحو أوليائهم من اليهود الراغبين فيهم غير متوانين في نصرتهم .

إننا إذا تأملنا معنى المسارعة لغة ندرك سر إيراد القرآن لها دون غيرها في مواطنها؛ إما صفة للمؤمنين أو دعوة لهم كما سيرد تفصيل ذلك، كما ندرك سر وصف المنافقين بها في إسراعهم نحو الشر والباطل، وندرك أيضاً سر وصف أحوال الناس في يوم الحشر ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا ﴾. [المعارج:٤٣]. ﴿ ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴾[ق:٤٤].

المسابقة لغة :

السبق: « أصل صحيح يدل على التقدم »، ويقال: « سبق يسبق سبقاً أي تقدم في السير أو في غيره من الحسيات والمعنويات، والاستباق هو التسابق الذي يكون بين أكثر من واحد، وكل منهم يبذل وسعه ليسبق غيره، وسابقه باراه في السير، وأسبق القوم إلى الأمر وتسابقوا بادروا ، واستبقا تباريا».

فأصل السبق التقدم في السير، ثم يتجوز به في غيره من التقدم، قال تعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ﴾ [الأحقاف:١١] . وقال

تعالى: ﴿سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ [الشورى: ١٤] أي نفدت وتقدمت، ويستعار السبق لإحراز الفضل والتبريز، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الواقعة]. أي المتقدمون إلى ثواب الله وجنته بالأعمال الصالحة.

والسبقُ من الخيل المبكرة بالحمل، ويأتي السبق ليدل على فوات أمر، يقال: سبق الطريد أي فات من الطلب، وعلى هذا قوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾﴾. [العنكبوت]. وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾. [العنكبوت]. تنبيه أنهم لا يفوتوننا ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾﴾ [المعارج] أي لا يفوتوننا.

وقوله: ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ [يس: ٦٦] أي جاوزوه وتركوه حتى ضلوا، قال الأزهري: "جاء الاستباق في كتاب الله بثلاثة معان مختلفة، أحدها: قوله عز وجل: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ [يوسف: ١٧]، قال المفسرون معناه ننتضل في الرمي، أي المسابقة في الرمي.

وقوله عز وجل: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ﴾ [يوسف: ٢٥] معناه ابتدرا الباب، يجتهد كل واحد منهما أن يسبق صاحبه... والمعنى الثالث في قوله تعالى:

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾﴾. [يس]. معناه تجاوزوا الصراط وخلفوه، وهذا الاستباق في هذه الآية من واحد، والوجهان الأولان من اثنين، لأن هذا بمعنى سبقوا والأولان بمعنى المسابقة.

ففي المسابقة معنى التقدم والمبادرة والإسراع، وتدل على وجود متسابقين، مما يفيد بذل غاية الجد والاجتهاد لتحصيل السبق والفوز على الآخر.

وهؤلاء السابقون في الخير هم ممن بادروا إلى بذل غاية جدهم واجتهادهم

وطاقتهم ليكون لهم التقدم، وتحقيق معنى الانتصار على الغير، فهم يسابقون الهوى فينتصرون عليه بتحقيق مراد الله فيهم، وهم يسابقون الشيطان فينتصرون عليه بطاعة الله تعالى . كما أنهم يسابقون الخيرين ليكونوا متقدمين بينهم .

الفرق بين المسارعة والمسابقة :

كلاهما فيه معنى المبادرة والجد في الأمر وعدم البطء فيه والإقدام وعدم التواني والتقصير، إلا أن المسارعة تتعلق بذات العامل بقطع النظر عمن ينافسه في ذلك، فهو يجد ويجتهد أبلغ الاجتهاد لذاته، يحركه ما يراه من واجب عليه في ذات الأمر... وهذا لا يكون إلا لمن علت همته وسمت اهتماماته .

أما المسابقة فتكون حال وجود قرين يسابق فتجتهد لتحصيل السبق، فيكون وجود القرين المسابق المخالف دافعاً لك لمزيد من بذل الجهد والتحري .

كما يلحظ في المسارعة خشية فوات الفرصة، كما يظهر فيها جانب ضيق الوقت خشية عدم إدراكه، فهو يسارع لذلك، وفي المقابل يلحظ في المسابقة ظهور النتيجة، وهي مادية واضحة.

وبالرجوع إلى علم الميكانيكا :

يتضع لنا أمرين وهما:(العجلة ج أو التسارع) ، والسرعة(ع)

والتسارع(العجلة) تستغرق وقتاً زمنياً أقلّ للوصول إلى الهدف،لأن الطاقة المبذولة تكون أكبر إذا ماقورنت بالطاقة المبذولة في السرعة.

ومن المعلوم أنّ:

$ع = \frac{د ف}{د ن}$ أي أنّ السرعة(ع) هي معّدل تغير المسافة بالنسبة للزمن.

$\text{حـ} = \frac{\text{دع}}{\text{دن}}$ أو ع¯ أي أنّ العجلة(ج) هي معدّل تغير السرعة بالنسبة للزمن.

(ع=سابقوا)....وتناسب المؤمنين،(ج=سارعوا)....وتناسب المتقين والمحسنين.

فالطائرة مثلاً على أرض المطار وهي تتحرك قبل الإقلاع تمثل السرعة(ع=سابقوا)،وبعد الإقلاع وهي في الجو تمثل العجلة(ج=سارعوا).

إذاً المسارعة(العجلة ـ التسارع) يبذل فيها الشخص مجهوداً أكبر ويفقد فيها طاقة كبرى، ويتفانى في سبيل الوصول إلى الهدف الذي يتناسب مع همته ودرجة إيمانه، لذلك المسارعة في الخيرات جاءت في مرحلة سامية من مراحل العبودية لله تعالى ألا وهي مرحلة المتقين أو مرحلة المحسنين.تأمّل قول الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾.

فمراحل العبودية لله تعالى مرتبة ترتيباً تصاعدياً (المسلمين ـ المؤمنين ـ المتقين ـ المحسنين) ، وكلمة ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾،إذا أضيفت للخيرات لاتكون إلا للأنبياء أو للمتقين(انظر الجدول الإحصائي للمسارعة في الخيرات).

مقارنة بين آية رقم (١٣٣) في سورة آل عمران وآية رقم (٢١) في سورة الحديد

سورة آل عمران	سورة الحديد
وَسَارِعُوا	سَابِقُوا
﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾	﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾
﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾	﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾

فما الفرق بين المسارعة و المسابقة ؟ و لماذا أدخل الله تعالى كاف التشبيه و إفراد السماء في الآية الثانية؟ و ما الفرق بين المتقين و المؤمنين ؟

الجواب:

- الكلام فى الآية الأولى عن المتقين، و فى الثانية عن المؤمنين، و المتقون فئة أضيق و أخص من المؤمنين

- فناسب أن يذكر فى الكلام عن المتقين ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ ، و فى الكلام عن المؤمنين ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ لأن السماء أوسع من السماوات فلا تطلق كلمة سماوات إلا على السماوات السبع الطباق ، أما كلمة السماء فجاءت فى كتاب الله بمعانى أوسع كالعلو أو السحاب أو المطر أو الفضاء أو السقف أو السماوات المعروفة فلما ضيق بذكر فئة المتقين ضيق بذكر ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ و لما وسع بذكر المؤمنين عموماً وسع بذكر ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾

- لذلك أيضاً لما استعمل ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ قال: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ قال ، ولكن لما استعمل ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ اتسعت اتساعا هائلا فجاء بأداة التشبيه ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ﴾ لأن المشبه به عادة أبلغ من المشبه...

- كذلك قال ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ لما قال ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ ، و قال (سابقوا) لما قال ﴿كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾

إذ أن كثرة الخلق المتجهين لمكان واحد تقتضي المسابقة فإن قلوا اقتضى ذلك المسارعة فقط وليس المسابقة

- ولما اتسع المكان اتسع الخلق ، فذكر السماء التي تشمل السموات.

أى أن لفظ وسارعوا تكون للأنبياء والمتقين وهم فئة قليلة حيث أنهم من خاصة الناس ولفظ سابقوا تكون للمؤمنين وهم فئة كثيرة.

ومنهم من ذهب إلى أنّ السماء مفردة والسموات جمع فكانت مساحة العطاء

الرباني للمتقين أكبر من مساحة العطاء الرباني للمؤمنين، والله أعلم.

لذلك لّما كان زكريا عليه السلام من الأنبياء جاء لفظ يسارعون في الخيرات. فلبى الله ندائه وأعطاه زيادة عمّا طلبة كما أسلفنا .

وحتى يتّضح الموضوع بشأن المسارعة (العجلة) لابد أن نشير إلى أمرين:

أولها: توجد في الميكانيكا عجلة تزايدية، وتمثل في الإيمانيات فعل الخيرات.

ثانيا: توجد في الميكانيكا عجلة تناقصية، وتمثل بفعل المنكرات. والجدول التالي يمثل ذلك:

السورة	الآية
الأنبياء	﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾
الرعد	﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ﴾
الإسراء	﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ ﴾ ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ ﴾

العجلة: الأصل في العجلة طلب الشيء وتحريه قبل أوانه، وهو من مقتضى الشهوة فلذلك صارت مذمومة في عامة القرآن، وفي الحديث (التأني من الله والعجلة من الشيطان)، مسند أبي يعلى، رقم ١٠٥٤ والبيهقي، السنن الكبرى، ج ١٠، ص ١٠٤، وهو حديث صحيح[1].

إلا أن العجلة وردت في كتاب الله في موضعين في سياق محمود :

الأول : في قوله تعالى على لسان مرسى : ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾ [طه]

(١) ينظر: محمد ناصر الدين الألباني، (ت ١٩٩٩هـ) ، سلسلة الأحاديث الصحيحة، عمان، المكتبة الإسلامية، ١٤٠٤هـ، (ط٢)، رقم ١٧٩٥

فكأن المقام وإن كانت العجلة لذاتها مذمومة، ومن وقع فيها لم يكن محموداً، فقال له ربه: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ﴾ إلا أنه إذا كانت طلباً لرضا الله سبحانه وتعالى فتكون أمراً محموداً مطلوباً، وثمة لفت نظر دقيق هنا :

«أن الإنسان قد يطلب أمراً محموداً مطلوباً لكنه إذا لم يقم به على الوجه الصحيح والتأني بما يقتضيه سلامة التحقق به فقد يؤدي إلى عكس المراد منه»[1].

الثاني : في سورة الفتح : ﴿فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ وَلِتَكُونَ ءَايَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَيَهۡدِيَكُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٢٠﴾[الفتح] .

قال المفسرون: فعجل لكم هذه أي فتح خيبر[2]، ويلاحظ هنا أنه عبر عما قدم للمؤمنين من غنائم وفتح سريع بلفظ التعجيل، وكأنه لفت نظر أن لا يلتفتوا إلى ما في هذه الأمور الدنيوية لذاتها، فإنها من العاجلة التي لا يحسن بالمؤمنين التطلع إليها لذاتها إلا أن تكون في ظل الإيمان والطاعة وقصد وجه الله سبحانه، كما وردت في سياق التعجل على وجه الإباحة مشروطاً بالتقوى، مما يؤكد أن العجلة تصرف لما ليس بمحمود ابتداءً .

ومما سبق يتبين لنا جواب من يسأل: ألا تتعارض فضيلة المسارعة والمسابقة مع قوله ﷺ : «**التأني من الله والعجلة من الشيطان**»[3] ، فقد تبين لنا أن المسارعة والمسابقة تكون ابتداء ولغة في الخير أو الشر لكن المطلوب منك أن تسارع إلى ما هو

---

(١) الراغب، المفردات، ٣٢٦ . الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص٥٤٨ بتصرف. سعيد حوى (ت ١٩٨٩م)، الأساس في التفسير، القاهرة، دار السلام، ١٩٩٩م، (ط٥)، ج ٧، ص ٣٣٧٩، بتصرف .

(٢) النسفي، تفسير النسفي، ج ٢، ص١٦٠ . الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ٥٤٦ .

(٣) سبق تخريجه .

محمود، فالمسابقة والمسارعة مشروطة دائماً أن تكون إلى الخيرات وفي القربات، وأن تغتنم الفرص فإنها لا تعوض، كما قال ﷺ : «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**» الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب الرقاق، ج٤، ص ٣٠٦، وهو حديث صحيح[1].

أما العجلة فتكون في طلب ما لم يحن أوانه، فمن الأمور ما يحمد فيها التأخير وحقها التأني فيها وحصولها على مهل وتدرج فمن تعجل فيها لم يكن محموداً، لأنه تعجل في غير مكانه[2].

وخلاصة القول :أنّ العجلة(التسارع) ، زيادة في السرعة ويكون الدافع فيها هو الطاقة الإيمانية للفرد نفسه،والسباق(السرعة)،يكون الدافع فيها طاقة إيمانية لفرد مقابل فرد آخر، كما في قول الله تعالى: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الذاريات].

والآية التالية توضح، العجلة التزايدية(+ موجبة = فعل الخيرات)، والعجلة التقصيرية (-سالبة = فعل المنكرات).

قال تعالى:

﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ ﴾ [مريم].

(١) ينظر: محمد ناصر الدين الألباني، (ت ١٩٩٩هـ)، صحيح الجامع الصغير، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٨م، (ط٣)، رقم ١٠٧٧.

(٢) الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن، ص ١٢٤

فقول الله تعالى: ﴿ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ تشير إلى العجلة التقصيرية (– سالبة).

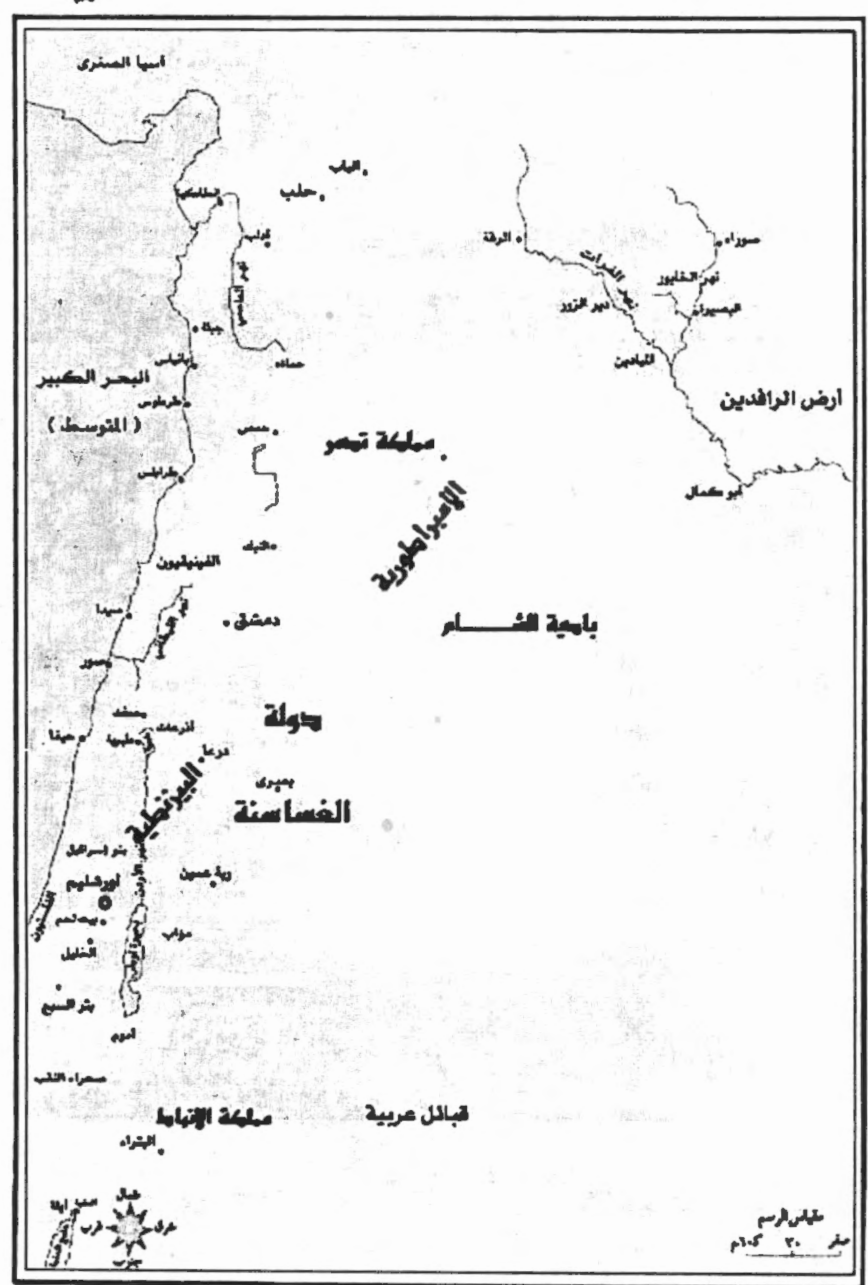
وقوله تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾، تشير إلى العجلة التزايدية(+ موجبة).

قال تعالى: ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾[الأنبياء: ٩٠] فقد ذكر أكثر المفسرين في تفسير هذه الآية: أنها كانت عاقراً لا يصلح رحمها للحمل وللولادة، فأصلح الله رحمها للحمل. روي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير، ويدل لذلك قول زكريا: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ﴾ [آل عمران٤٠:].

والإصلاح والحمل في هذا السن مخالف للنواميس الكونية ويدل على طلاقة قدرة القدير.

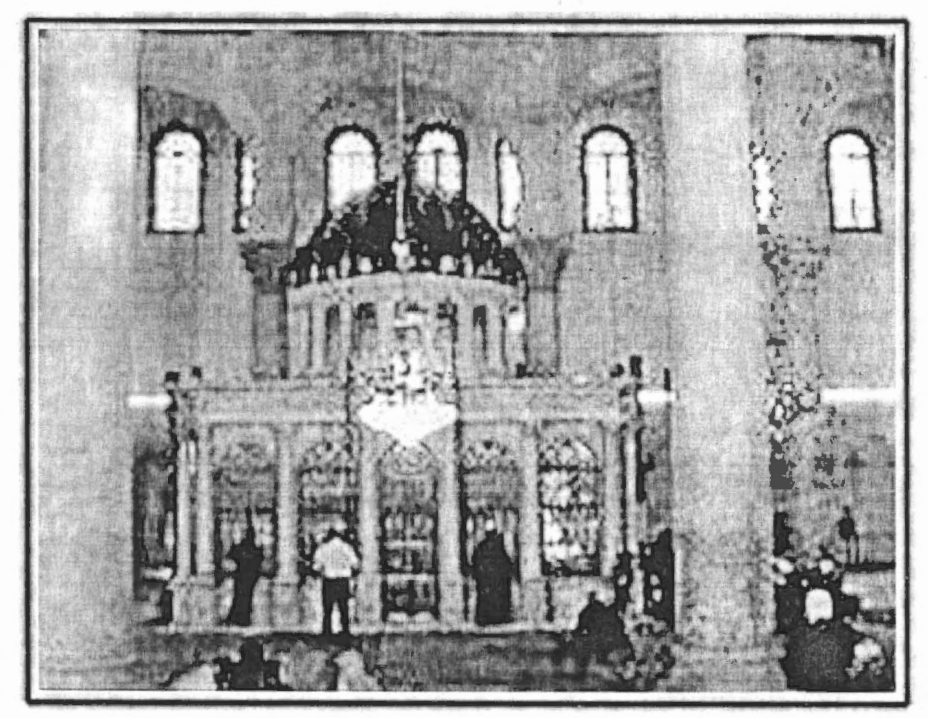
وهذا مازاد عن الطلب.

خريطة



بعثتا زكريا ويحيى عليهما السلام

صورة



مقام يحيى عليه السلام بالمسجد الأموي

هبة الله ﷻ لمريم عليها السلام

مواطن هبة الله لمريم عليها السلام في القرآن الكريم

السورة	الآية
مريم	﴿ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ١٩ ﴾

الهبة: ولادة عيسى عليه السلام.

الطلب الأصلي: دعوة أمها بان تنذر مافي بطنها لله أما مريم فكان الاستغراق في العبادة والطاعة بدل لدعائها.

ما زاد عن الطلب:

(١) ولادة عيسى من غير أب.

(٢) جعله الله نبيا.

(٣) التكلم في المهد.

(٤) رفعه الله إليه وينزل في آخر الزمان.

حيثيات الهبة: العفة والطهارة والاستقامة في الطاعة.

قال تعالى:

﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [التحريم].

﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الأنبياء].

وهذا نداء لكل بنات المسلمين في كل بقاع الأرض ، الله تعالى يعطي للفتاه ذات العفة والطهارة والتي تستقيم على أمر الله ما زاد عن طلبها ، انظرن، كيف أنّ مريم ذابت في معّية الله تعالى وفي طاعته، وحافظت على عفتها ، فرفع الله تعالى ذكرها في العالمين.

من فضائل وكرم الله تعالى لمريم عليها السلام:

لكي نذكر بعض فضائل الله تعالى لمريم عليها السلام وتكريمه إياها، ندرس المقابلات الإعجازية التالية في شأنها ، وشأن زكريا عليه السلام في ضوء سورتي آل عمران ، ومريم من خلال هذا الجدول:

سورة آل عمران	سورة مريم
﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾	﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ ﴾
﴿وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ ﴾ (٤٠)	﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ ﴾
﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ ﴾ (٤١)	﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ ﴾
﴿وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ ﴾ (٣٩)	﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ ﴾ (١١)

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾	﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾

المقابلة الأولى

وليا	ذرية

ذرية كلمة مؤنثة وهى جمع مفرد،أي تطلق على الجمع والمفرد وهي في هذا الموضع للفرد، وجاءت في هذا الموضع إكراماً لمريم عليها السلام ،حيث أنها أنثى ، وكان الدعاء عقب رؤيته رزقاً عند مريم عليها السلام

وقال الطبري : وأما « الذرية » فإنها جمع ، وقد تكون في معنى الواحد ، وهي في هذا الموضع الواحد . وإنما أنث « طيبة » لتأنيث الذرية

وليا مفرد مذكر، وتعني الولد الصالح، فحينما جنّ الليل،دعا زكريا عليه السلام ربه، ولفظ وليا إكراماً ليحيى عليه السلام. والله أعلى وأعلم.

المقابلة الثانية

﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا﴾	﴿وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ﴾

﴿وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ﴾ امرأتي عاقر قد تعني لأنه لم تكن عاقراً وإنما يذكر حالها الآن لأن المرأة قد تسمى العاقر بعد الكِبَر والعاقر يقال عقرت المرأة إما لكبرها لم تنجب أو هي في الأصل عاقر.

﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا﴾ أي منذ البداية لا تنجب أما امرأتي عاقر ففيها احتمالين إما لكبرها أو هي عاقر الآن ولم تكن عاقراً قبلها.

وربما بدأ بنفسه في سورة آل عمران كون عمران رجلاً ، وبدأ بزوجته في سورة مريم كون مريم أنثى وهذا إكراماً لمريم والله أعلى وأعلم.

المقابلة الثالثة

﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾	﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ﴾

أولاً: رأي الدكتور فاضل السامرائي.

﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾: الفرق بين ليال وأيام: اليوم هو من طلوع الشمس إلى غروبها (باختلاف المفهوم المستحدث السائد أن اليوم يشكل الليل والنهار) أما الليل هو من غروب الشمس إلى بزوغ الفجر. وقد فرّق بينهما القرآن في قوله تعالى في سورة الحاقة ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾﴾ هذا هو التعبير الأصلي للغة. وفي آية سورة آل عمران لا يستطيع زكريا أن يكلّم الناس ثلاث أيام بلياليهن لكن جعل قسم منها في سورة آل عمران وقسم في سورة مريم.

﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ﴾ هناك مقدمات للقصة جعله يختار الليل في سورة مريم وهي : (النداء الخفي) ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾ هذا النداء الخفي يذكّر بالليل لأن خفاء النداء يوحي بخفاء الليل فهناك تناسب بين الخفاء والليل.

ذكر ضعفه وبلوغ الضعف الشديد مع الليل ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ وكلمة عتيّا تعني التعب الشديد وقد ذكر في آيات سورة مريم مظاهر الشيخوخة كلها مع الليل ولم يذكره في آل عمران لأن الشيخوخة تقابل الليل وما فيه من فضاء وسكون والتعب الشديد يظهر على الإنسان عندما يخلد للراحة في الليل، أما الشباب فيقابل النهار بما فيه من حركة.

ثانياً: رأي الدكتور عمر عبد الكافي.

﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾: جاءت في سورة آل عمران، كونها سورة مدنية ترمز للنور الذي كشح الظلام في الجاهلية، وهذا النور يظهر كثيرا في اليوم والمقصود به هنا (النهار).

﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ﴾: جاءت في سورة مريم كونها مكية، حيث انتشرت فيها الجهالة وعبادة الأصنام، وهي فترة الظلمة،وتناسبها هنا كلمة الليل.

ثالثاً: خواطرنا حول هذه الآية.

﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾: زكريا عليه السلام كان يدخل على مريم عليها السلام في النهار (كلما دخل عليها زكريا المحراب)،أي يدخل للصلاة بعد انتهاء العمل، ولا يمكن أن يتردد عليها في الليل ويتركها بمفردها،ولذلك جاء اليوم(النهار) مناسباً في السورة.

ودعاء زكريا كان في النهار كما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾

﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ﴾: جاءت مناسبة لسورة مريم، كونها امرأة يجب أن تستر عن أعين الناس، والليل مناسباً للستر، ودعاء زكريا عليه السلام كان في الليل كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾﴾. وهذا أيضاً إكراماً لمريم عليها السلام، والله أعلى وأعلم.

المقابلة الرابعة

﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾	﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾

قال الدكتور فاضل السامرائي:

﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾: الذي يصلي في المحراب يناسب عظم البشارة

ليحي.

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ ﴾: خرج قد لا يكون يصلي لم يثبت له حالة الصلاة.

المقابلة الخامسة

﴿ وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴾	﴿ سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾

قال الدكتور فاضل السامرائي:

﴿ وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴾: لما قدم في آل عمران العشي على الإبكار ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ (٤١)﴾ اليوم يكون من طلوع الشمس معناه ذهبت البُكرة فلو قال بكرة وعشياً يذهب عشيّ ذلك اليوم فقدّم حتى لا يضيع شيء من التسبيح فلما قدّم الليل قدّم البكرة لأن البكرة تأتي بعد الليل.

ولما قدّم اليوم قدّم العشي لأن العشي يأتي في اليوم ولو قال بكرة مع اليوم كان ذهبت بكرة اليوم الأول وعشي ذلك اليوم كان ذهب.

﴿ سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾: لما قال في مريم ﴿ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ ﴾ قدّم بُكرة وبعد الليل يأتي البكرة والعشي يتأخر من الظهر فصاعداً ولو قال ثلاث ليال سوياً وسبحوه عشية وبكرة تكون ضاعت البكرة الأولى من التسبيح.

صورة أخرى من سور التكريم لمريم عليها السلام في ضوء سورتي الأنبياء والتحريم.

سورة الأنبياء	سورة التحريم
﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ (٩١)	﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ (١٢)

الرأي الأول: الدكتور فاضل السامرائي:

﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا ﴾: قال تعالى في سورة الأنبياء ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾.

الآية : ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ أعمّ وأمدح ، فنقول أن الأخصّ مريم ابنت عمران وقوله تعالى : ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ أعمّ من ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ ﴾. إذن مريم ابنت عمران أخصّ من التي أحصنت فرجها وجعل العام مع العام : ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا ﴾.

﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ ﴾: قال تعالى في سورة التحريم ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ ذكر الأخصّ مع الأخصّ ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ ﴾.



قال تعالى :(وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يديَّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلمّا جاءهم بالبينات قالوا هـذا سـحر مبين) الصف ٦

والدة المسيح

سلسلة نسب

نبي من أولي العزم

نبي ذكر في القرآن

خريطة

وصل يوسف النجار ومريم وعيسى عليهم السلام إلى منطقة الجليل، وسكنوا الناصرة التي ينسب إليها النصارى، ونما الطفل في النعمة والحكمة، ولما بلغ اثنتي عشرة سنة من العمر، ذهب مع مريم ويوسف إلى أور سالم (أورشليم) بيت المقدس ليسجد لله حسب شريعة الرب المكتوبة في التوراة

الامبراطورية

البحر الكبير (البحر الأبيض المتوسط)

الفلسطينيون

البيزنطية

ولد المسيح عليه السلام أيام الحاكم البيزنطي الامبراطور (أغسطس) حيث كان يحكم البلاد الفلسطينية هيرودوس الذي نصبه الرومان ملكا على البلاد، وحينما علم اليهود بخبر ولادته من خلال التوراة وأنه سوف يكون له شأنا عظيما في بيت لحم (كنيسة المهد) أمر هيرودوس بقتل كل طفل يولد في تلك البلد فقامت مريم العذراء عليها السلام بإخفاء أمره عن أعين الناس حينما ولدت به، ثم ارتحلت به إلى أورسالم (أور شليم) القدس .

مصر

سيناء

مدين

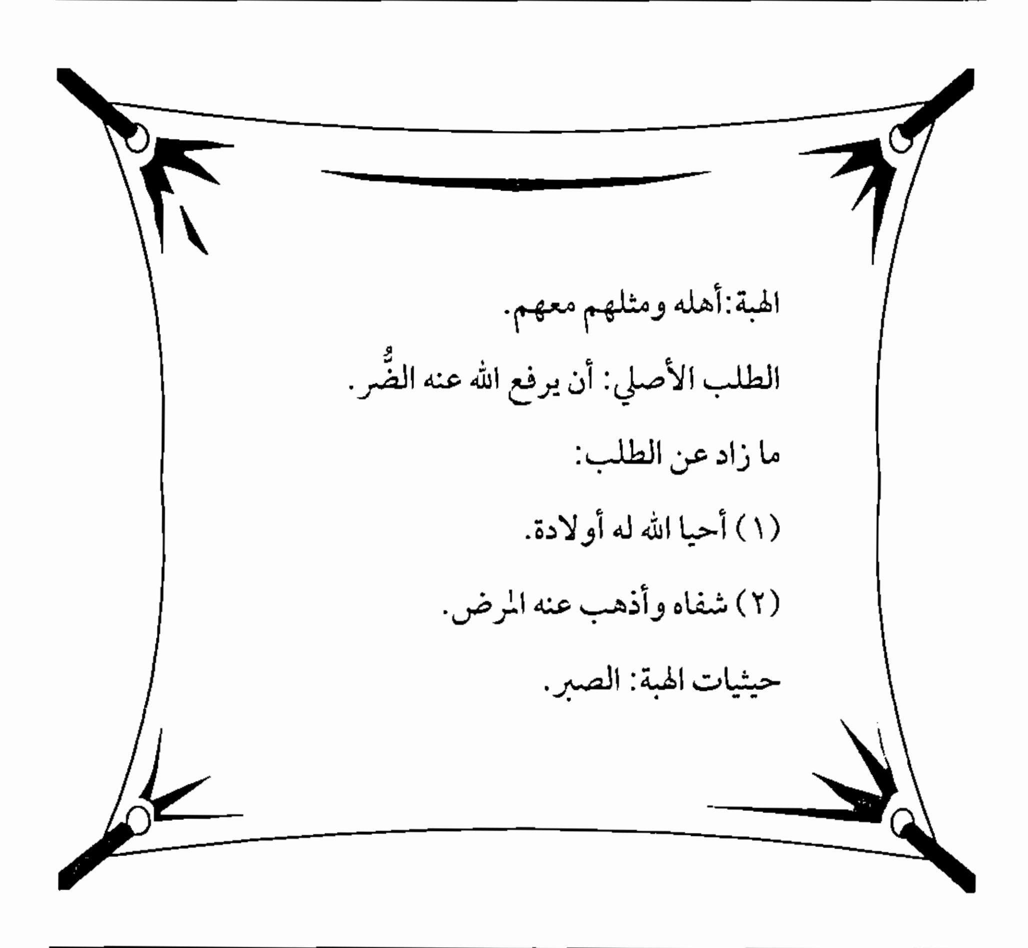
بعثة عيسى عليه السلام



هبة الله ﷻ لأيوب عليه السلام

مواطن هبة الله لأيوب في القرآن الكريم

السورة	الآية
ص	﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾



الهبة: أهله ومثلهم معهم.

الطلب الأصلي: أن يرفع الله عنه الضُّر.

ما زاد عن الطلب:

(١) أحيا الله له أولادة.

(٢) شفاه وأذهب عنه المرض.

حيثيات الهبة: الصبر.

أولا: ذكر أيوب عليه السلام في القرآن الكريم:

جاء ذكر نبي الله وعبده أيوب ـ عليه السلام ـ في القرآن الكريم أربع مرات في أربع من سور القرآن الكريم علي النحو التالي:

١. ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾ [النساء:١٦٣].

٢. ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٤﴾ [الأنعام:٨٣ ـ٨٤].

٣. ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾ [الأنبياء:٨٣ـ٨٤].

٤. ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٤٣ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ٤٤﴾ [ص:٤١ ـ٤٤].

وقوله تعالي: اركض برجلك أي: اضرب الأرض برجلك، وبامتثاله ما أمره الله به نبعت بقدرة الله ـ تعالي ـ عين من الماء البارد، وأمر أن يغتسل فيها، وأن يشرب منها فأذهب الله ـ سبحانه وتعالي ـ عنه كل ما كان بجسده من الأدواء الظاهرة والباطنة، وعاد سليما معافي كما كان قبل الابتلاء.

ثم وهبه الله ـ تعالي ـ أهله وماله مضاعفين ـ وكانا قد سلبا منه ـ وذلك لقوله ـ

تعالي: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ .

أي: وجمعنا شمله بأهله الذين كانوا قد تفرقوا عنه أثناء ابتلائه، وأيام محنته، أو الذين كانوا قد ماتوا فعوضه الله ـ سبحانه وتعالي ـ عنهم وزاد عليهم مثلهم، وفعل ربنا ـ تبارك وتعالي ـ ذلك رحمة منا بعبدنا أيوب جزاء صبره علي البلاء واحتسابه ذلك في سبيل الله، وعظة لأصحاب العقول السوية ليدركوا أن بعد العسر اليسر، وأن بعد الشدة الفرج جزاء علي صبر الصابرين واحتساب المحتسبين، وكان أيوب قد حلف أن يضرب زوجه أو أحدا من أهله عددا من الضربات علي خطأ كان قد ارتكبه، فحلل الله ـ تعالي ـ له يمينه بأن يأخذ حزمة من القش، فيها العدد الذي أقسم أن يضرب به، فيضرب به ضربة واحدة، وفاء بيمينه دون أن يصاب المضروب بألم يذكر. وقد من الله ـ تعالي ـ علي عبده أيوب بهذه النعم جزاء صبره علي البلاء، وتذكرة لكل من ابتلي في جسده أو ماله أو ولده كي يصبر ويحتسب لأن الصبر من منازل المؤمنين بالله المتقين لجلاله كما أخبر بذلك المصطفي ﷺ.

ثانيا: ذكر أيوب ـ عليه السلام ـ في السنة النبوية المطهرة:

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلين من إخوانه كانا من أخص إخوانه له، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين، قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه ربه فيكشف ما به. فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدري ما تقول؟ غير أن الله ـ عز وجل ـ يعلم أني كنت أمر علي الرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجع إلي بيتي فأكفر عنهما، كراهة أن يذكر الله إلا في حق؛ وقال ﷺ : وكان أيوب يخرج في حاجته، فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى

يرجع. فلما كان ذات يوم أبطأت امرأته عليه، فأوحي الله إلي أيوب في مكانه أن اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فاستبطأته امرأته فتلقته تنظر، وأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء، وهو علي أحسن ما كان، فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك! هل رأيت نبي الله هذا المبتلي؟ فو الله القدير علي ذلك ما رأيت رجلا أشبه به منك إذ كان صحيحا، قال: فإني أنا هو.

وقال ﷺ عن نبي الله أيوب: وكان له أندران، أندر للقمح وأندر للشعير، فبعث الله سحابتين، فلما كانت إحداهما علي أندر القمح أفرغت عليه الذهب حتي فاض، وأفرغت الأخري في أندر الشعير الورق(أي الفضة) حتي فاض(السلسلة الصحيحة للألباني ـ ج١٧).

وقصة نبي الله أيوب ـ عليه السلام ـ هي من نماذج الصبر علي الابتلاء الذي يقدره الله ـ تعالي ـ علي عبد من عباده فيصبر ويحتسب، ويكون العطاء الوافر في الدنيا وفي الآخرة هو جزاء الصبر والاحتساب. وقد طال صبر أيوب علي الابتلاء بغير تضرر ولا ضجر حتى أصبح يضرب بصبره المثل، وأصبحت قصة صبر أيوب علي كل لسان، إلا أن القصة قد شابها من الإسرائيليات ما شابها حتي تم تشويهها بالكامل، وأصبحت ضربًا من القصص الشعبي، والحق من هذه القصة هو ما جاء عنها في كتاب الله ـ تعالي ـ وفي سنة خاتم أنبيائه ورسله ﷺ، كما عرضناه في الآيات القرآنية الكريمة التي تم الاستشهاد بها أعلاه،وفي الحديث النبوي الشريف الذي ذكرناه آنفا. وخلاصة ذلك أن أيوب ـ عليه السلام ـ كان عبدا من عباد الله الصالحين، وقد ابتلاه الله ـ تعالي ـ في عافيته وولده وماله فصبر صبرا جميلا، وبقي واثقا في ربه، راضيًا بقضائه، محتسبا لابتلائه، وكان الشيطان يوسوس لزوجته ولعدد من خلصائه القلائل الذين بقوا علي وفائهم له بأن الله ـ تعالي ـ لو كان راضيًا

عن عبده أيوب ما ابتلاه هذا الابتلاء الذي طال لقرابة العشرين عاما، وكان بعض هؤلاء الخلصاء يسرون إلي أيوب بذلك فتؤذيه أقوالهم في نفسه أشد ما يؤذيه المرض وغيره من صور الابتلاء لأنه كان يعلم أن ذلك من وساوس الشيطان إلي البقية الباقية من خلصائه حتى ينصرفوا عنه.

ولما تكاثرت أحاديث خلصائه عليه توجه إلي ربه بالشكوي مما يلقي من إيذاء الشيطان، ومن نفثه في آذان من بقي حوله من أهله وأصدقائه فقال:[... أني مسني الشيطان بنصب وعذاب] فاستجاب الله دعوته، وأدركه برحمته، فأنهي ابتلاءه، ورد عليه عافيته وأهله وماله.

وفي ذلك تأكيد علي رحمة الله وفضله علي عباده الصالحين الذين يعرضهم لشيء من الابتلاء فيصبرون ويحتسبون رضا بقضاء الله وقدره، ويقينا بأنه الخير كل الخير، وذلك انطلاقا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل**» ، وقال: «**يبتلي الرجل علي حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه**» (صحيح الجامع/ ٩٩٢، السلسلة الصحيحة للألباني/ ح١٤٣ , ١٤٤ , ١٤٥). ولذلك عقب القرآن الكريم علي قصة نبي الله أيوب بقول ربنا ـ تبارك وتعالي ـ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ وذلك الإنعام من الله ـ تعالي ـ علي عبده ونبيه أيوب كان جزاء وافرا علي صبره علي البلاء الذي لم يقنطه من رحمة ربه، ولم يوقفه عن حسن الالتجاء إلى الله ليكون في ذلك درسا لغيره من عباد الله الصالحين وعبرة وعظة للمعتبرين.

ثالثا: ومضة من الإعجاز التاريخي في الآية الكريمة:

يذكر كل من علماء التفسير وتاريخ الأديان أن أيوب ـ عليه السلام ـ كان من ذرية إسحاق بن إبراهيم ـ عليهما من الله السلام ـ وأنه كان عبدًا صالحا منّ الله ـ

تعالي ـ عليه بالعافية والأهل والمال، ثم ابتلاه بسلب ذلك كله منه، وظل محتسبا وصابرا ثمانية عشر عاما حتى رد الله ـ تعالي ـ إليه كل من كان قد سلب منه في فترة الابتلاء والاختبار، وعاد أصح عافية، وأغني بالأهل والمال مما كان عليه، وبذلك جعله ربنا ـ تبارك وتعالي ـ مثلا للصابرين المحتسبين، ودرسا لغيره من المعتبرين، وذلك لأن الابتلاء هو من سنن الحياة الدنيا، والصبر علي الابتلاء هو من شيم أصحاب الدعوات من عباد الله الصالحين عبر التاريخ، وسيظل كذلك حتى قيام الساعة والله ـ تعالي ـ قد جعل النصر مع الصبر، وجعل عاقبة الصابرين الفوز المبين في الدنيا قبل الآخرة، وما عند الله خير وأبقي، وبذلك الفهم يهون الابتلاء ـ مهما عظم ـ علي كل قلب عامر بالإيمان بالله، مؤمن بقضائه وقدره، موقن بأنه الخير كل الخير، وأن عاقبته الخير، وإن بدا لأعين الناس غير ذلك، وهذا هو الدرس المستفاد من قصة نبي الله أيوب ـ عليه السلام ـ في القرآن الكريم.

ويذكر علماء كل من التفسير وتاريخ الأديان أن نبي الله أيوب ـ عليه السلام ـ عاش في منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد(في حدود ١٦٠٠ ـ ١٥٠٠ ق.م)، وأن خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلوات ربي وسلامه عليه ـ بعث في أوائل القرن السابع الميلادي، وعلي ذلك فالفارق الزمني بين هذين النبيين الكريمين يفوق الألفي عام، وأن خاتم النبيين ﷺ كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة حتى لا يتهمه أحد بأنه نقل القصص القرآني عن كتب الأولين، وهو ﷺ لم يزر أرض حوران التي يقال إنها كانت بلاد أيوب ـ عليه السلام ـ

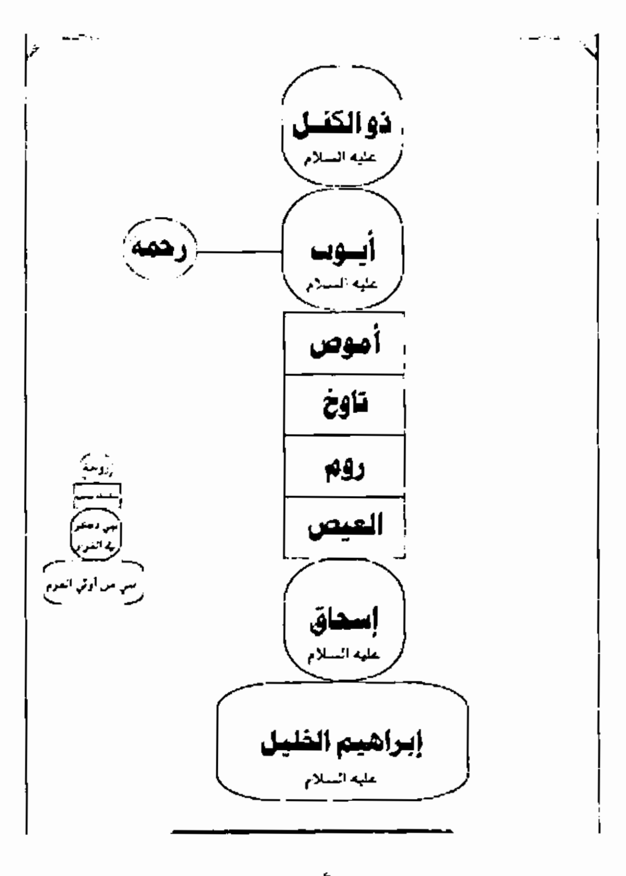
ومن هنا فإن الإشارة إلي قصة هذا النبي في القرآن الكريم، هي من المعجزات التاريخية في كتاب الله، وإن جاءت في الأصل مواساة لرسول الله ﷺ وللذين آمنوا معه في وقت ابتلائهم بمظالم مشركي وكفار مكة، ومواساة لكل داعية إلي دين الله

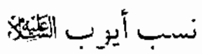
يتعرض لظلم الطغاة المتجبرين من الحكام الظالمين في كل زمان ومكان إلي يوم الدين، وذلك لأنه لم يكن لأحد من أهل الجزيرة العربية إلمام بقصة نبي الله أيوب في زمن الوحي.

وتأتي القصة ـ علي عادة القرآن الكريم ـ بالدروس والعبر المستفادة منها، لا من قبيل السرد التاريخي المجرد، لأن القرآن الكريم هو كتاب هداية ـ وليس كتاب تاريخ، ولكن بما أنه كلام رب العالمين في صفائه الرباني فإن كل حرف،وكلمة، وآية، وسورة منه تأتي بالحق المبين في أي مجال تتعرض له، علي تعدد مجالاته وتشعبها.

القصة ـ كغيرها من قصص القرآن الكريم ـ تبرز كوجه من أوجه الإعجاز التاريخي في كتاب الله يشهد لهذا الكتاب العزيز بأنه لا يمكن أن يكون صناعة بشرية بل هو كلام الله الخالق الذي أنزله بعلمه علي خاتم أنبيائه ورسله، وحفظه بعهده الذي قطعه علي ذاته العلية، في نفس لغة وحيه(اللغة العربية)، وحفظه علي مدي أربعة عشر قرنا ويزيد، وتعهد بهذا الحفظ تعهدا مطلقا حتي يبقي القرآن الكريم شاهدا علي الخلق أجمعين إلي يوم الدين.

فالحمد لله علي نعمة الإسلام، والحمد لله علي نعمة القرآن، والحمد لله علي بعثة خير الأنام ـ ﷺ وبارك عليه وعلي آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلي يوم الدين ـ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.




نسب أيوب عليه السلام



حوار الإيمان حول الصبر

س:ما معنى اسم الصبور؟

ج: أولا لفظ الصبور مبالغة من صابر.. والصبور - سبحانه - هو ملهم الصبر لجميع خلقه فهو مصدر الصبر لجميع خلقه ..لا صبر إلا منه - عز وجل - ومنه قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾. [النحل].

س: هل هناك معنى آخر لهذا الاسم؟

ج : يوجد معنيان آخران لهذا الاسم - الصبور - غير كونه مصدراً للصبر.

الأول: أنه - عز وجل - يصبر على ما لا يرضاه من عباده.. لا تستفزه المعاصي... ولا يُعجّل بالعقوبة على من عصاه.

سبحانه إذا أعرضت عنه بالعصيان .. قابلك بالعفو والغفران.

والثاني: هو أنه تعالى لايُعجّل بأمر قبل أوانه... بل ينزل الأمور بقدر معلوم.. ويجريها على سنن محددة... يبرز كل شيء في أوانه على لوجه الذي يجب أن يكون كما ينبغي.

س:هذا عن معنى الاسم الصبور - بالنسبة إلى ذاته تعالى فما معناه بالنسبة إلى العباد؟

ج:صبر العبد.. هو ثبات داعي العقل والدين.. في مقابلة داعي الشهوة والغضب.. فإذا جاذبه داعيان متضادان.. فمال إلى باعث الخير... كان عبدًا صبورًا.

والصبر بالنسبة إلى العباد... ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: وهو التصبر.. أي تكلف الصبر.. ومقاساة الشدة فيه... ومحاولة التحمل.

الثاني: الصبر.. وهو سهولة تحمل ما يستثقله غيره من صروف القضاء.

الثالث: الاصطبار.. وهو نهاية الصبر بالنسبة إلى الخلق.. ويكون ذلك بأن يألف الصبر... فلا يجد مشقة في تحمل الابتلاء.. بل يجد روْحا وراحة.

س: هل من لوازم الصبر... ألا يذكر المبتلى ابتلاءه لفظا ونطقا؟

ج: ليس الصبر ألا تذكر الابتلاء لفظا ونطقا.. وإنما ألا تعترض في نفسك على قضاء الله ... وهذا غير ذكر الابتلاء باللفظ والنطق... فقد أخبر الله - تعالى - عن عبده أيوب أنه لما قال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ [الأنبياء:٨٣] وقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ [ص] مدحه الله بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص]

وقد علم الله تعالى ضعف هذه الأمة .. وأنهم لا يطيقون تحمل الابتلاء فجعل قصة أيوب - عليه السلام - سُلوة لكل ممتحن ومبتلى.

س: أليس اسم - الصبور - يؤدي معنى سم الحليم؟.

ج: الصبور غير الحليم.. فالحليم هو الذي يتجاوز عن أخطاء غيره بلا تكلف ولا معاناه. أما الصبور... فهو الذي يراود نفسه عن ميولها ورغباتها وشهواتها... ثم يحتمل ما تكرهه.

وقد قال الأحنف بن قيس: أنا صبور ولست بحليم... مع أنه كان يضرب به المثل في الحلم.

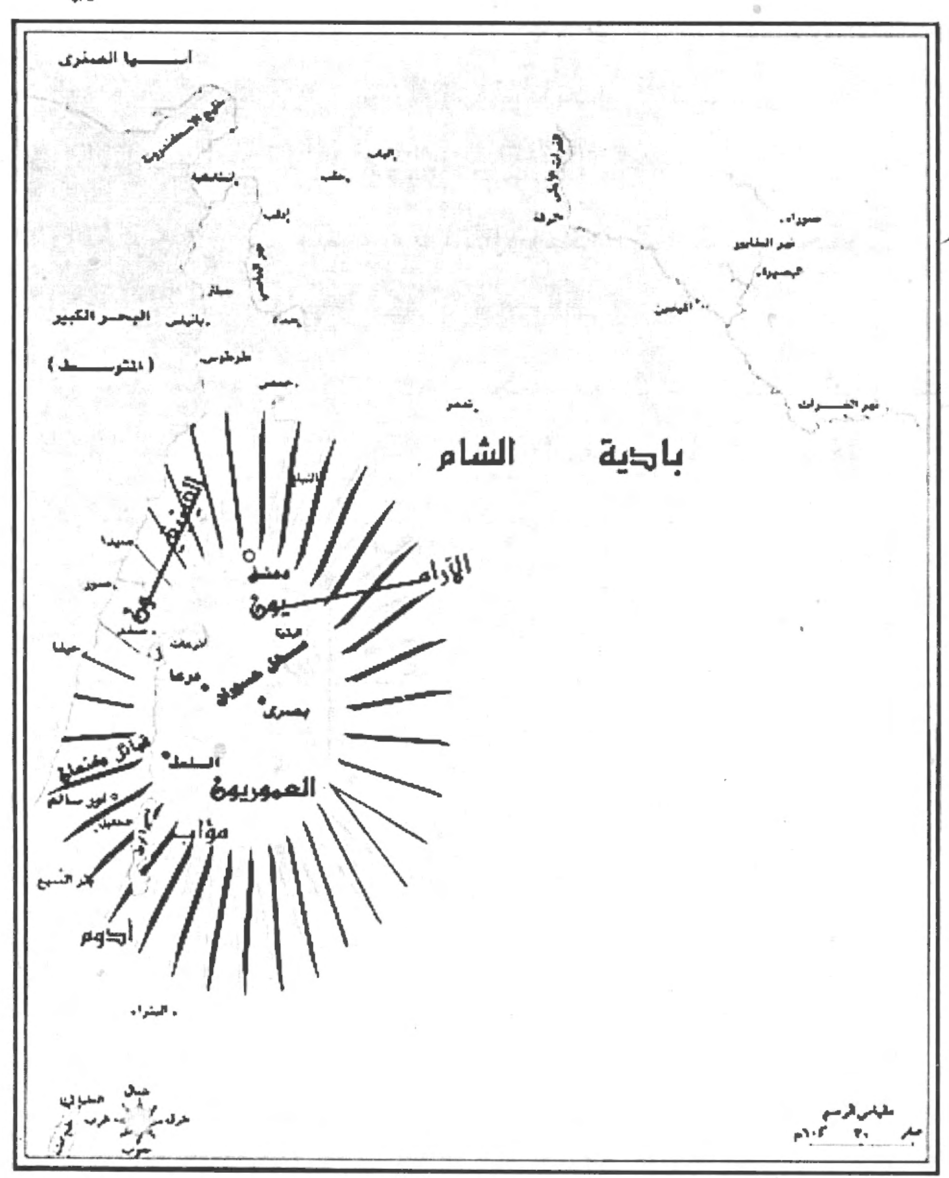
س: هل معنى هذا أنه هناك صبراً على المعاصي... وصبراً على الطاعة؟

ج: على المؤمن أن يصبر على الطاعة بالتزامها وعلى المعصية باجتنابها وعلى النعمة بشكرها وعلى المصيبة بالرضا بها.. ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران].

وإن لكل عمل أجراً محددا ومقدرا... إلا الصبر فإن أجره بغير حدود.. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ ﴾. [الزُّمر].

فيجب الرضا بقضائه.. والنزول على حكمه.. مع اطمئنان القلب وثقة النفس بالحكم والعدل.. سواء كان مطابقا لهوى النفس أم مخالفا.. هذا هو معنى الصبر.الذي هو فيض بتأييد من تجليات الاسم الصبور .

خريطة



بعثة أيوب عليه السلام

هبة الله ﷻ لداود عليه السلام

مواطن هبة الله لداود عليه السلام في القرآن الكريم

السورة	الآية
ص	﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾

الهبة: سليمان عليه السلام.

الطلب الأصلي: العفو والمغفرة.

ما زاد عن الطلب:

(١) سخر الله له الجبال تردد معه ذكره وتسبيحه.

(٢) ألان الله له الحديد فصار كالعجينة يصنع منه ما يشاء.

(٣) يسر له تلاوة الزبور، وآتاه الملك فجمع له الخيرين.

(٤) أنعم عليه بالقوة في البدن والحكمة في الرأس والعدل في الحكم.

(٥) أنعم عليه بالذرية الصالحة (وورث سليمان داود).

حيثيات الهبة: التوبة والإنابة إلى الله تعالى.

إن داود عليه السلام كان أوّابا، وسريع الرجوع إلى الله تعالى وكان كثير السجود والاستغفار، لذلك منّ الله عليه بعطاءات دنيوية، لم تعطى لنبي قبله تتلخص في:

- القوة في الجسم....
- الحكمة في القول....
- العدل في الحكم....
- العذوبة في الصوت....

حوار الإيمان حول التوبة

س:ما معنى الأواب؟

ج: الأوَّاب الذي على طاعة الله مقبلٌ، وإلى رضاه رجَّاع.

س:هل معنى ذلك أن العبد الأواب له صله باسم الله التواب وما معنى التواب في اللغة؟

ج:نعم لأن التوبة في اللغة:هي الرجوع عن الذنب. وتاب الله عليه أي وفقه لها.

س: هل اقترن اسم التواب بصفات أخرى لله تعالى وماحكمة اقتران التوبة بالرحمة؟.

ج: نعم لقد جاء في كثير من المواضع القرآنية باسم ـ الرحيم ـ وورد مرة واحدة مقترنا باسم ـ الحكيم ـ وورد مفردا في آية واحدة، ولكي نكمل الإجابة عن الشق الآخر من السؤال نوضح الجدول الإحصائي التالي لاسم الله التواب:

السورة	الآية
البقرة	﴿فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾، ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾
النساء	﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾ ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾
التوبة	﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾
النور	﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾
الحجرات	﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾
النصر	﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾

والحكمة من اقتران التوبة بالرحمة في كثير من الآيات، هو أن المواقف التي يخطيء فيها العبد.. والإنسان بطبيعته مجبول على الخطأ.. فإذا أخطأ ثم تاب ورجع إلى الله.. سبقت رحمة الرحيم فقبل توبته وتاب عليه... بتجليات الاسم - التواب - في ظلال الاسم - الرحيم. فاقرأ مثلا في آية الحجرات من أول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ ﴿١٢﴾﴾. [الحجرات].

تجد أن الله تعالى بعد أن نهى عن الاستهزاء بالناس.. وعن اللمز والغمز والعيب

والتنابز بالألقاب وسوء الظن بالناس والتجسس والغيبة.. قال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾. [الحجرات]. واقرأ أيضا في سورة النساء: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بارتكاب المعاصي والذنوب﴿جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ والآيات كثيرة حول هذا المعنى.

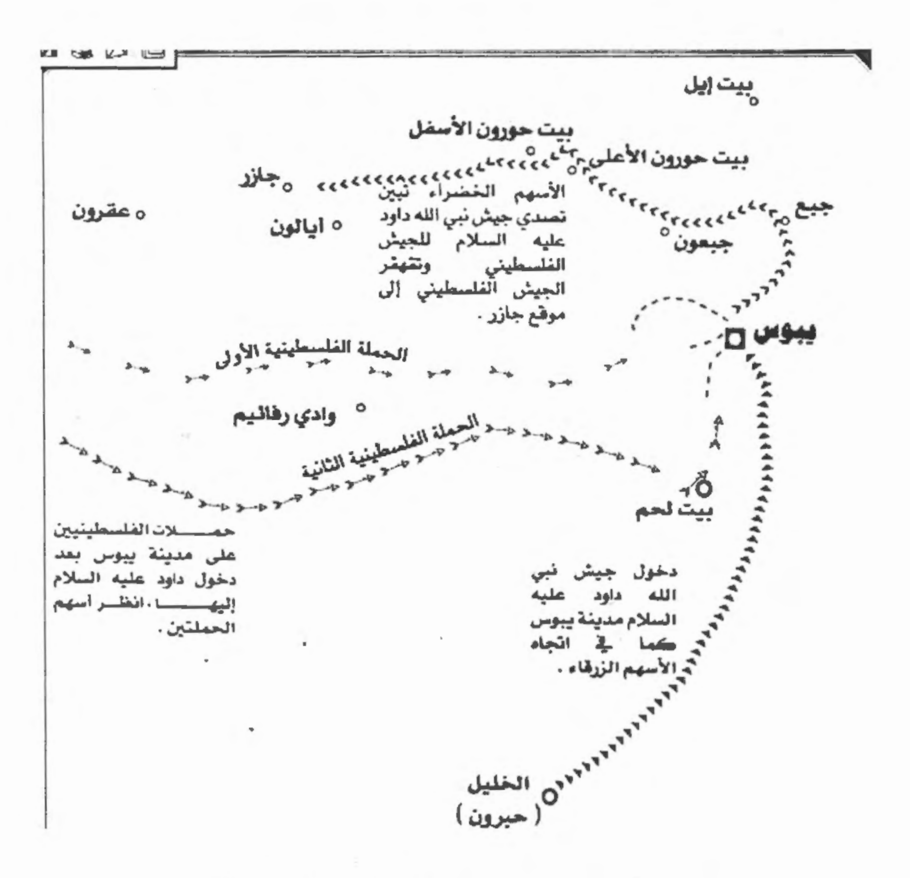
س:هل اسم الله التواب.. له علاقة باسم الله الغفار؟

ج: نعم فبين اسم الله الغفار والتواب عامل مشترك فعال.. ذو أثر خطير في الكيان الديني والدنيوي معا.. فيكفي أنه حجاب يمنع غضب الله وعذابه.. ألم تقرأ قوله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾. [الأنفال]. أما في المجال الدنيوي فتتضح العلاقة الوثيقة بينهما من خلال قول نوح لقومه: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾. [نوح].

س: وهل ذكر هذا الاسم بالنص في القرآن الكريم؟

ج: نعم .. ذكر خمس مرات طبقا للجدول التالي:

السورة	الآية
طه	﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾
ص	﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾
الزمر	﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾﴾
غافر	﴿ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾﴾
نوح	﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾



فتح بيت المقدس على يد نبي الله داود عليه السلام.

أصل كلمة يبوس:

- سميت القدس «بيبوس» نسبة إلى اليبوسيين وهم فرع من الكنعانيين وهو أحد أولاد كنعان، ويطلق عليها الاسم الكنعاني «أور سالم» بمعنى «مدينة السلام» ، وظل اسم «يبوس» علماً على المدينة حتى استولى عليها داود عليه السلام، أما اسم القدس فقد عرفت به المدينة منذ بداية تاريخها عندما أقيمت بها أماكن مقدسة للعبادة، أما بيت المقدس فقد أطلق على المدينة بدءاً من العصر الإسلامي، لذلك

تسمى القدس أورشليم وهي في الأصل صيغة عربية لاسم أوروسالم الآرامي.

فتح يبوس (أور سالم)

- كانت يبوس (أور سالم) عاصمة لليبوسيين إحدى عشائر الكنعانيين، استعصى على بني إسرائيل فتحها، فطلبوا من نبي لهم أن يبعث لهم ملكاً يقاتلون تحت لوائه فكان داود عليه السلام الذي استطاع أن يدخلها وفتحها، قال تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾، فاستقر نبي الله داود عليه السلام في عاصمة ملكه بأورشليم، وبدأ بعد ذلك بإخضاع القبائل والمدن المجاورة لعاصمته.



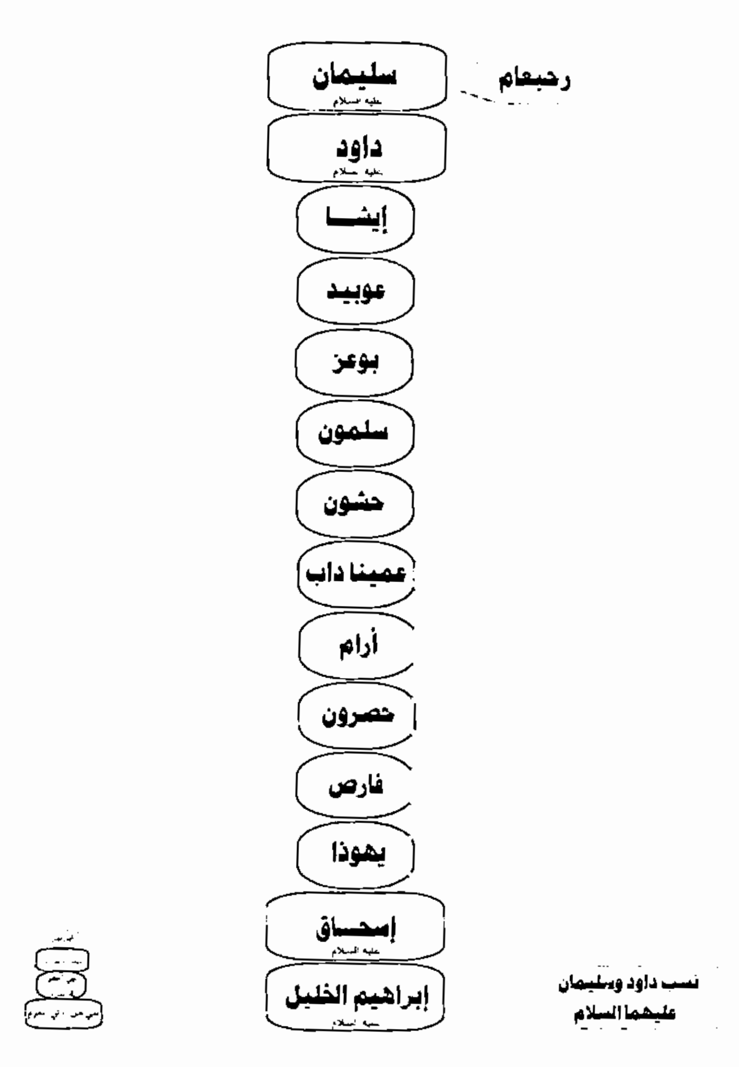
نماذج لتطور السلاح حتى صناعة الدروع في عهد نبي الله داود عليه السلام

يقول الله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ واللبوس هي الدروع لأنها تلبس ولتحصنكم من بأسكم أي لتحميكم في حروبكم مع أعدائكم..

- والبأس هنا بمعنى الحرب أو آلة الحرب بعد حذف المضاف: آلة بأسكم، كما ذكر ذلك القرطبي في تفسيره.

- ومن خلال الحضارة الإنسانية الأولى نجد أن الإنسان استخدم الأدوات الحجرية المصقولة لصيده وقتاله حتى توصل إلى صناعة السيوف والسهام والسكاكين، وفي عهد نبي الله داود عليه السلام استطاع أن يصنع الدروع والتي كانت عبارة عن صفائح فكان أول من سرّدها وحلّقها أي جعلها حلقات كما جاء في الآية السابقة.

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص:٢٦] . ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ [النمل]

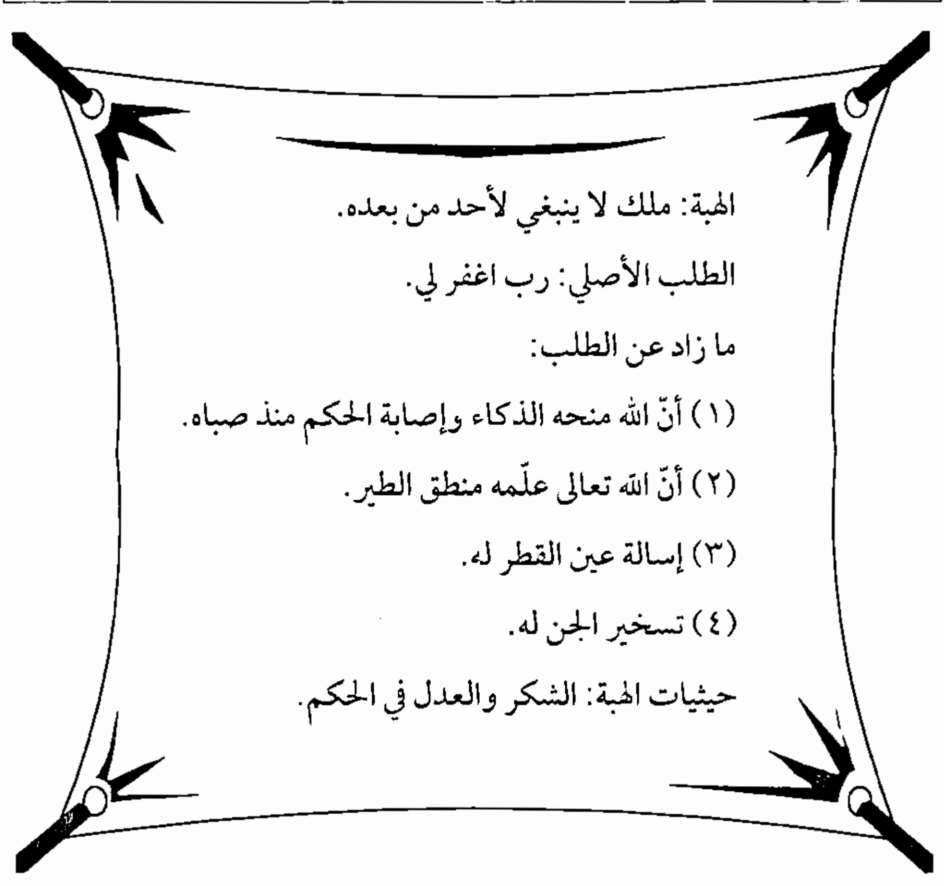


إنّ ثمرة الإنابة والرجوع إلى الله تعالى فور تذكّر الذنب ، وكثرة الإستغفار من أهم أسباب السعادة والعز والرفعة في الدنيا والآخرة، والصور والخرائط السابقة ترينا جانباً من اتساع ملك داود عليه السلام والذي كان مثلاً فريداً يجمع بين النبوة والعلم والحكم والعدل، عَلّنا أن نقتدي بالأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل السلام.

هبة الله ﷻ لسليمان عليه السلام

مواطن هبة الله لسليمان عليه السلام في القرآن الكريم

السورة	الآية
ص	﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾



الهبة: ملك لا ينبغي لأحد من بعده.

الطلب الأصلي: رب اغفر لي.

ما زاد عن الطلب:

(١) أنّ الله منحه الذكاء وإصابة الحكم منذ صباه.

(٢) أنّ الله تعالى علّمه منطق الطير.

(٣) إسالة عين القطر له.

(٤) تسخير الجن له.

حيثيات الهبة: الشكر والعدل في الحكم.

حوار الإيمان حول الشكر

س:هل يحمل الاسم ـ الشكور ـ معنى المبالغة؟

ج: نعم الشكور مبالغة من الشاكر.

س:ما معنى الشكر في لغة العرب؟

ج:الشكر في الحقيقة هو الاعتراف بنعمة المنعم.ويقول أهل اللغة:هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه.. والعرب تقول دابة شكور..أي يكفيها قليل العلف.. ومع هذا تسمن وتصلح..ويقال:ناقة شَكِرة.. تعتلف أي علف كان.. ويصبح ضرعها مملوء لبناً.

س: ما المقصود من اسم الله الشكور؟

ج:الله ـ سبحانه ـ سمى نفسه شكوراً.. على معنى أنه يجازي العبد على الشكر.. فسمى جزاء الشكر شكراً..كما سمى جزاء السيئة سيئة..في قوله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾. [الشُّورى:٤٠]. .وقد قلنا إن حقيقة الشكر.. الثناء على المحسن بذكر إحسانه..فإذا أثنى العبد على ربه بذكر إحسانه ونعمته... وبذلها في سبيله.. كان اسم الله ـ الشكور ـ مبالغة في وصفه تعالى بالثناء على عبده.. ومدحه له.. بذكر إحسانه وطاعته.. في ملأ خير من ملئه.

كما قيل: إن اسم (الشكور) في وصفه تعالى بمعنى أنه يعطي الثواب الكثير على اليسير من الطاعة.. فقد ذكرنا أنّ الناقة الشَكِرة.. يمتلىء ضرعها باللبن.. برغم قلة العلف..ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ٧ ﴾. [إبراهيم].

س:هل المطلوب من الشكر..أن يذكر الإنسان نعم الله عليه فقط.. أم يبذلها في سبيله؟

ج: ليس الشكر كلاماً يقال .. وأحاديث تذاع.. وإنما هو أمر عملي.. فالله تعالى يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾. [الضُّحى]. فالحديث بنفس النعمة.. وليس المطلوب الحديث عنها.. فالشكر بالبدن.. يكون باستعمال جوارحه في طاعة الله.. والشكر بالقلب.. بحسن النية والاشتغال بذكر الله.. والشكر باللسان.. يكون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. والشكر بالمال.. بالإنفاق في سبيل الله .. قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾. [سبأ].

س:بمناسبة ذكر آل داود.. نلاحظ أن الشكر جاء في أكثر من موضع في القرآن الكريم على لسان سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ لماذا؟.

ج: ورد الشكر على لسان سليمان عليه السلام في مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾. [النمل]. قالها سليمان عليه السلام لما استقر عنده عرش بلقيس ملكة سبأ .. منقولاً من سبأ باليمن إلى أورشليم بفلسطين.

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ [النمل: ١٩]. قالها سليمان عليه السلام لما وهبه الله منطق الطير وأمدّ في سمعه.. حتى سمع النملة تقول لقومها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [النمل]. والملاحظ أنّ الشكر كان يجري على لسان سليمان عليه السلام ـ كلما حصل أمر لايتحقق لغيره من البشر.. مثل الأمرين المذكورين .. من نقل عرش بلقيس من سبأ إلى القدس من غير زمن.. ومثل فهمه حديث النملة بعد سماعه قولها وهو في هذا الحشد الضخم من الجنود.

وذلك لأنه طلب من الله ملكا لاينبغي لأحد سواه.. يقول تعالى على لسان سليمان: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ فاستجاب الله تعالى له .. ووهبه ملك لم يهبه غيره: علمه لغة الطير.. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ [النمل١٦] ، وسخر له الريح تجري بأمره بالسحب الممطرة .. يقول تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ ﴾. [ص]. ، وسخر له الجن جنودا في جيشه. .

يقول تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[النمل]، كما سخرهم له عمالا وصناعا.. يقول تعالى: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ﴾ [سبأ:١٣]. أما يستحق بعد هذا العطاء الضخم أن يكون عبدا شكورا؟. إنّ سليمان عليه السلام لم يطلب من الله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده.. إلا ليشكر شكرا لا ينبغي لأحد من بعده.. لينال درجة الشاكرين.. وهي الدرجة الثالثة من درجات القرب من الله تعالى... وللقرب من الله أربع درجات.

س: وما هي درجات القرب من الله؟

ج:قال بعض المحققين: أربعة أشياء: من حاز منها واحدة...كان من عباد الله الصالحين.ومن حاز منها اثنين.. كان من الشهداء الموقنين. ومن حاز منها ثلاثة... كان من الأولياء المقربين. ومن حزها كلها.. كان من الصديقين المحققين.

فأولها: الذكر... وبساط الذكر(العمل الصالح)... وثمرته النور.

وثانيها:التفكر...وبساط التفكر(الصبر)..........وثمرته العلم.

وثالثها: الفقر إلى الله...وبساط الفقر (الشكر)..... وثمرته الزيادة في كل خير.

ورابعها:الحب ....وبساط الحب (بغض مفاتن الدنيا).. وثمرته الوصل.

حقا إن للشكر درجة كبيرة... فالشاكر على هذا الأساس في درجة الأولياء المقربين. ولقد جعل الله تعالى الشكر والكفر في كفتي ميزان.. اقرأ قوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام في الآيتين الأولى والثانية: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾. [النمل]. و﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾. [النمل:٤٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾. [لقمان]. وقوله: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾. [البقرة].وقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾. [الإنسان]. وقوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾. [إبراهيم]. أرأيت كيف جعل الله الشكر والكفر نقيضين؟

س: وماهي الأسماء التي يعمل الاسم الشكور في مجالها؟

ج: الاسم ـ الشكور ـ هو المعاون لاسم ـ الباسط ـ ويعمل معه الاسمان الكريمان: الوهاب والكريم... ولأضرب لك مثلا تقريبيا:

إذا تجلى الله ـ تعالى ـ على عبد باسم ـ الباسط ـ ويعمل معه الاسمان الكريمان: الوهاب والكريم.. يكون العبد وهابا كريما.. وتستمر تجليات اسم الباسط عليه... لأنه يعمل عمل الشكور.. وقد قلت أن اسم الشكور هو المعاون الأول لاسم ـ الباسط ـ وهنا يبرز معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾. [إبراهيم:٧]. **فالشكر هو البذل مما تفضلت به تجليات الاسم ــ الباسط ــ وبهذا وردت الآيات لتأييد هذا المعنى كقوله تعالى:** ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾. [لقمان:١٤].

ولم يقل اشكرني.. وقوله: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ [النمل:١٩]... **فجعل**

النعمة هنا مفعولا من الشكر.. فشكر النعمة بذلها.

س: وما هو الشكر بين العباد بعضهم البعض؟

ج: العبد يشكر عبدا آخر إذا أحسن إليه بواحدة من اثنين:

إما بالثناء عليه ومدحه... وإما بمجازاته أكثر مما صنعه معه.. وتلك من الصفات الحميدة ... فقد روى الإمام أحمد في مسنده.. والترمذي.. عن أبي سعيد رضي الله عنه.. أن رسول الله ﷺ قال: «**من لم يشكر الناس لم يشكر الله**». هذا عن شكر العبد للعبد... أما شكر العبد لله فهو نوع من المجاز... لأن العبد لن يستطيع أن يحصي ثناء الله عليه... وإن أطاعه.. فطاعته نعمة أخرى من الله عليه بل نفس الشكر من العبد نعمة أخرى وراء النعمة المشكورة... وخير حالات الشكر لله استخدام النعمة للطاعة.. وعدم استعمالها في المعصية... وهذا أيضاً يكون توفيقا من الله تعالى يستحق عليه الشكر.

س: هل من الممكن ضرب مثل تقريبي حول هذا المعنى؟

ج: إذا كنت سائرا في طريق.. ولقيك صبي يتيم.. وطلب منك قرشا.. فأعطيته القرش... فهذا في الواقع فضل من الله عليك يستحق الشكر منك.. فهو الذي ساق إليك الصبي ليسألك.. وهو الذي هيأ القرش معك وهو الذي وقاك الشح لتجود على هذا اليتيم بذلك القرش... واختار يدك ليخرج عن طريقها هذه الصدقة. إن نعم الله عليك لا تحصى... لقد أنعم عليك بملاذ الدنيا وكرائمها.. ثم عدّ ذلك قليلا فقال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾.

إن الله تعالى يقبل اليسير من الطاعات من عباده.. ويثني عليهم بالكثير.. وقد قرأت في بعض الروايات أن رجلا رئى في المنام بعد موته.. فقيل له ما فعل الله بك؟ فقال: أقامني بين يديه وحاسبني فرجحت كفة سيئاتي... فنزلت صُرّة في كفة

حسناتي فثقلت.. ففتحت الصُرّة فإذا بها كف من تراب كنت وضعته في قبر مسلم.

س: وهل ورد هذا الاسم في القرآن الكريم؟

ج: نعم ورد أربع مرات كما بالجدول التالي:

السورة	الآية
فاطر	﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠) ﴾ ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) ﴾
الشورى	﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٣) ﴾
التغابن	﴿ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) ﴾

س: متى يقترن الصبر بالشكر ؟

ج: يقول (د.فاضل السامرائى) :إذا نظرنا في القرآن كله نجد أنه تعالى إذا كان السياق في تهديد البحر يستعمل (صبّار شكور) وإذا كان في غيره يستعمل الشكر فقط. ففي سورة لقمان مثلاً قال تعالى في سياق تهديد البحر ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١) وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢) ﴾

أما في سورة النحل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) ﴾ لم يذكر صبّار لأن الآية كلها نعم فجاء بالشكر فقط.

وهناك أمر آخر وهو أن كلمة صبّار لم تأت وحدها في القرآن كله وإنما تأتي دائماً

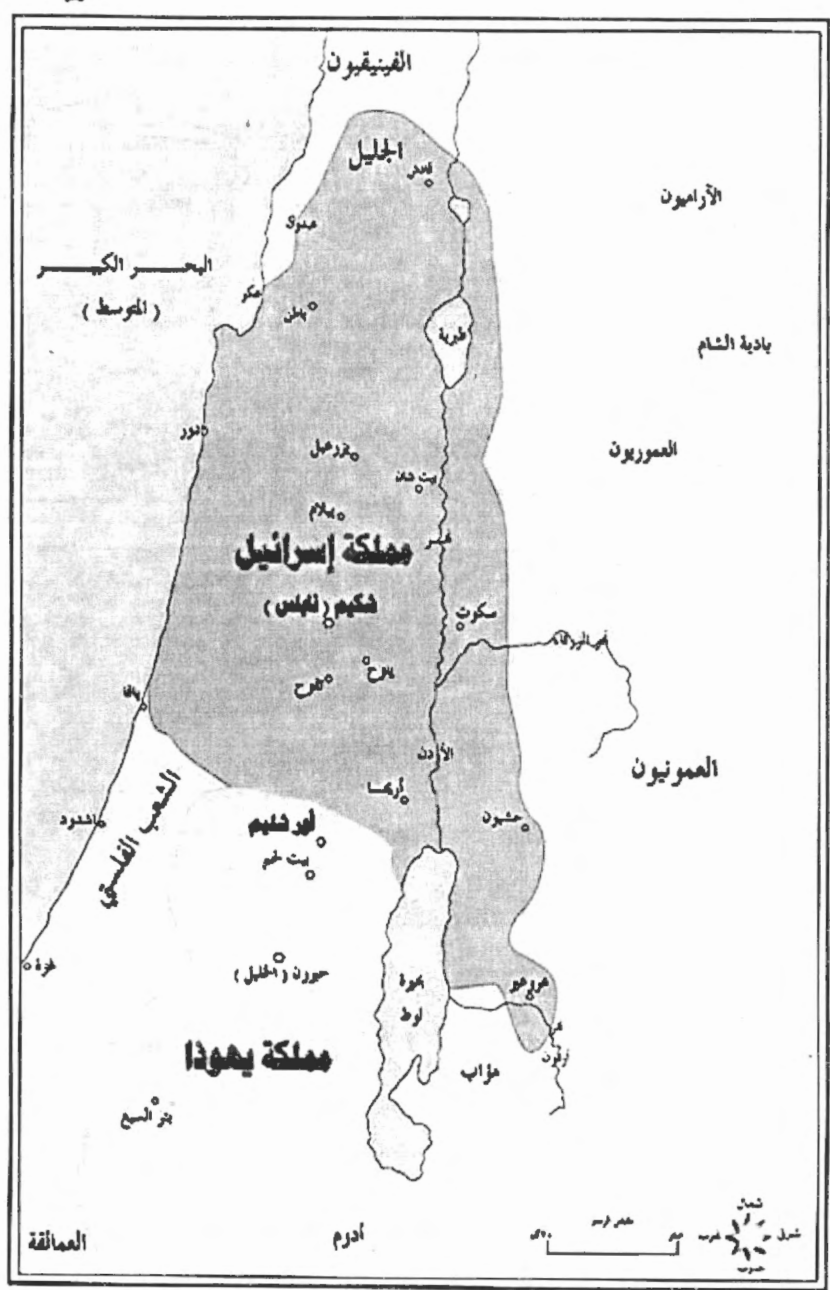
مع كلمة شكور وهذا لأن الدين نصفه صبر ونصفه الآخر شكر كما في قوله تعالى في سورة إبراهيم ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٥) ﴾ وفي سورة سبأ ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩) ﴾.

وموجز الكلام هو : إذا لم يذكر تهديداً ذكر الشكر وحده وإذا ذكر التهديد قرن صبّار مع شكور في جميع القرآن وقدّم صبار على شكور.

س: وما أثر هذا الاسم في الذكر؟

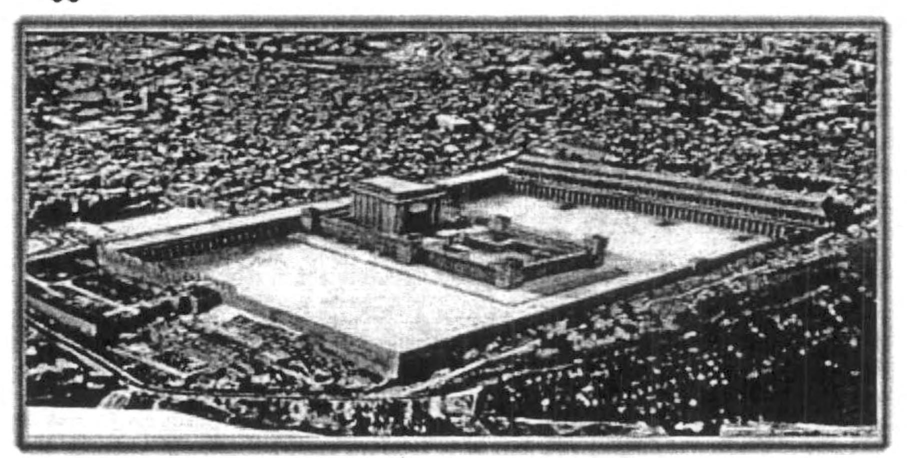
ج:من داوم على اسم ـ الشكور ـ دامت عليه النعمة .. وحفظت من الزوال .. وبورك له في بدنه.

خريطة



بعثة سليمان عليه السلام

صورة



مجسم لهيكل سليمان عليه السلام بالمسجد الأقصى



هبة الله ﷻ لمحمد ﷺ

مواطن هبة الله لمحمد ﷺ في القرآن الكريم

السورة	الآية
الأحزاب	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٠ ﴾

الهبة: امرأة مؤمنة.

الطلب الأصلي: الرحمة للعالمين .

ما زاد عن الطلب: فُضّل عن الأنبياء بست:

١ ـ أعطي جوامع الكلم

٢ ـ نصر بالرعب

٣ ـ أحلت له الغنائم

٤ ـ جعلت له الأرض طهورًا ومسجدا

٥ ـ أرسل إلى الخلق كافة

٦ ـ ختم به النبيون

حيثيات الهبة: كل صفات الأنبياء.

خواطر الشعراوي رحمه الله حول هذه الآية:

قال الله تعالى﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[الأحزاب]

الوهب: هو انتقال ملكية بلا مقابل، فلان وهب لك الشيء الفلاني ولم يبيعه لك أو يبادلك بشيء مكانه؛ ولذلك السيدة عائشة رضى الله عنها لما نزلت هذه الآية قالت: أنا أتعجب لامرأة تبتذل نفسها وتعطي نفسها لرجل مجاناً .... فنزل النص:﴿وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾ فقالت السيدة عائشة: يارسول الله أرى الله يسارع إلى هواك !! أي أن الله يعلم هواك في شيء فينزل تشريعاً خاصاً بك، إذن ... التي تهب نفسها للنبي ﷺ لا بد أن تكون مؤمنة لأن الكتابية لا تصلح، لكن هل بمجرد الهبة تحل له ؟ لا.

لأن الزواج في الإسلام إيجاب وقبول فلابد أن يرضى هو بهذه الهبة، ولذلك علقت الآية بعد ذلك بقول الله تعالى:﴿إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا ﴾، فهنا يكون إيجاب وقبول. فهناك من يقول أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتزوج عن طريق الهبة والبعض الأخر يدعي أنه تزوج من أربعة موهوبات ... فأين الحق ؟ الآية تقول:﴿وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا ﴾ فربما واحدة وهبت نفسها، ولكن الرسول لم يرد، وربما وهبت نفسها، ولكنه كرمها وجعل لها مهراً وصارت زوجة عادية، فهذا كله ممكن

وكلمة: (نكح ... واستنكح) بنفس المعنى مثل: عجل إلى كذا واستعجل. ومعنى [خَالِصَةً لَّك] أي: خاصة بك لأن الرسول ﷺ خصه الله تعالى بأشياء، لماذا ؟

لأن الرسول ﷺ ليست مهمته فقط مع نفسه، ولكن مهمته مع الناس كلهم، وهذه المهم ليست مع الناس المعاصرين له فقط، بل هي ممتدة من خلال دعوته إلى أن تقوم الساعة، لذا فالمسؤلية الملقاة على عاتقه صلى الله عليه وسلم عظيمة وكبيرة، اقرأوا إن شئتم قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل:٥]

فلا يشغله الله بأي شيء من شواغل الحياة حتى يتفرغ للمهمة الكبرى التي هو بصددها. إذن ... رسول الله ﷺ جعل الله له أشياء تيسر له أمر الاندماج في المستقبل ولذلك صار الوحي بعد ذلك شيئاً عادياً بالنسبة له لا مشقة له ولا تعب فيه .. لماذا ؟

لأن طاقة الشوق التي عنده تُهوّن عليه كل هذه المتاعب دون أن يدري. وزوجات النبي كانت لهم الحرية المطلقة في الاختيار، فعن عائشة رضي الله عنها قالت:(لما أُمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال : إني ذاكر لكِ أمراً فلا عليكِ أن تعجلي حتى تستأمري أبويكِ ، ـ قالت وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه ـ قالت ؛ ثم قال : إن الله جل ثناؤه قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٢٩﴾ [الأحزاب] قالت ؛ فقلت : أفي هذا استأمر أبوي ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة.

قالت : «ثم فعل أزواج رسول الله ﷺ مثل ما فعلت» أخرجه البخاري ٤٧٨٥ ومسلم ١٤٧٥/ ٢٢.

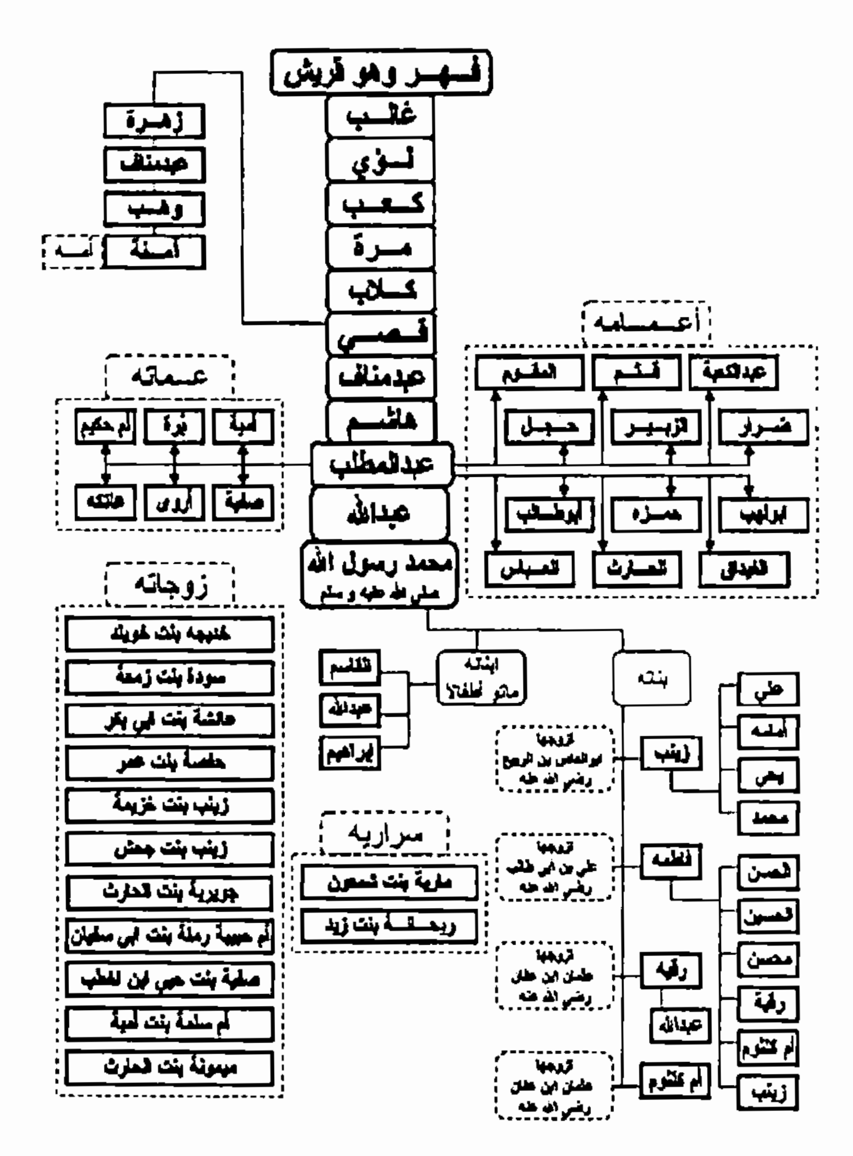
وقال الدكتور «عبد الله علي الهتاري» رئيس قسم اللغة العربية بجامعة الملك سعود: يمكن تحليل آية الأحزاب تحليلا آخر ومعرفة سر مجيىء اسم النبي دون

الضمير وذلك ليس لدلالة الاختصاص فقط وإنما لرفع الحرج النفسي عن المخاطب بتغييبه بدلاً من مخاطبته: ففي قوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٠﴾ ﴾: [الأحزاب: ٥٠].

بدأ السياق القرآني بالخطاب للنبي بقوله: ﴿أَحۡلَلۡنَا لَكَ ﴾ ثم عدل عن ذلك إلى الاسم الظاهر النبي، بقوله: ﴿إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ ﴾ ثم عدل مرة أخرى عن الاسم الظاهر إلى الخطاب فقال: ﴿خَالِصَةً لَّكَ ﴾.ولم يجر السياق على نمط واحد من الضمائر فيكون [إنا أحللنا لك أزواجك ...وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها لك إن أردت أن تستنكحها خالصة لك...]؟

ويرى أن العدول إلى الاسم الظاهر في هذا السياق فيه دلالة نفسية، وهي رفع الحرج عن النبي لأن هذه الخصوصية فيها حرج لنفس الرسول أن يكون هذا خاصاً له دون المسلمين، بل هي أشد من خصوصيته بما زاد عن الأربع زوجات، لأنه زواج بمقابل وهو المهر خلافاً لزواج الهبة الذي هو دون مقابل، فالتحرج منه أشد، لذا ترفق المولى –عز وجل- إذ لم يخاطبه بهذا الحكم مباشرة، فغيبه في الخطاب إذ الاسم الظاهر من قبيل الغيبة فقال [وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها] فجعل اختصاصه بهذا الأمر بمقتضى مقام النبوة فهو مقام له خصوصيته فلا يكون في صدره أدنى حرج من ذلك.وأكد بذلك بقوله: ﴿لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞ ﴾.

نخلص من ذلك أنّ المرأة إن وهبت نفسها لأحد تكون بدون مهر أي بدون صداق ، وقد جعل الله سبحانه وتعالى هذا خاصة لرسول الله تعالى ، وترك له حرية الاختيار ، ومن كرمه برسوله علّق اختياره على الشرط من قبل رسول الله ﷺ .

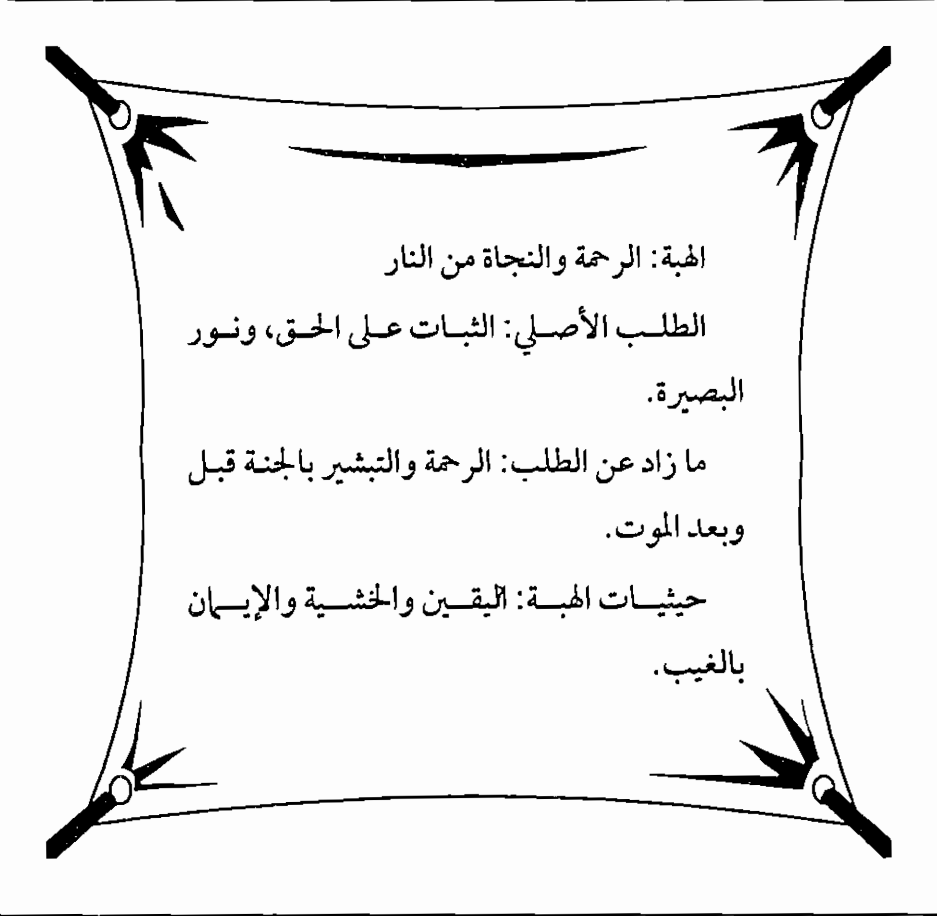


نسب رسول الله ﷺ

هبة الله ﷻ لأهل العلم ﵃

مواطن هبة الله لأهل العلم في القرآن الكريم

السورة	الآية
آل عمران	﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾



من هم الراسخون في العلم ؟

الراسخون في العلم هم الثابتون فيه المتمكنون منه.

جاء في مقاييس اللغة لابن فارس ما يلي:(رسخ) (الراء والسين والخاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الثَّبات. ويقال رسَخَ: ثَبَتَ، وكلُّ راسخٍ ثابتٌ).

وقد أضاف النبي ﷺ وصفا إضافيا للراسخ في العلم فقال :(هو من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه) .

والرّاسخ في العلم يتكلم بعلم وعدل لا بظلم وجهل --وانظروا قول الشّاعر:

أتانـا أن «سـهلا» ذمَّ جهـلا — علومـا لـيس يـدريهن «سـهلُ»

علومـا لـو دراهـا مـا قالـها — ولكـن الـرضى بالجهـل سـهلُ

فهو قول يصف حقيقة غير الرّاسخين في العلم من حيث ذمّهم جهلا أمورًا يجهلونها. ولنعد إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران] .

فهي تلخص موقف الرّاسخين في العلم إزاء المتشابه الذي استأثر الله بعلمه من مثل علم السّاعة فهم مع عدم علمهم به وعلمهم الرّاسخ بغيره يؤمنون بالقرآن محكمه ومتشابهه على أنّه كتاب الله.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران].

يقول الشعراوي رحمه الله:

إذن فبعدما صورنا في الأرحام كيف يشاء على مقتضى حكمته لن يترك الصور بدون منهج للقيم، بل صنع منهج القيم بأن أنزل القرآن وفيه منهج القيم، ولابد أن نأخذ الشيء بجوار الحكمة منه، وإذا أخذنا الشيء بجوار الحكمة منه يوجد كل أمر مستقيما كله جميل وكله خير. فيقول سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾ . ماذا يعني الحق بقول: ﴿ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾ ؟ إن الشيء المحكم هو الذي لا يتسرب إليه خلل ولا فساد في الفهم؛ لأنه محكم، وهذه الآيات المحكمة هي النصوص التي لا يختلف فيها الناس: فعندما يقول :

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة:٣٨]

هذه آية تتضمن حكما واضحا. وهو سبحانه يقول :

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ﴾ [النور:٢]

هذه أيضا أمور واضحة، هذا هو المحكم من الآيات، فالمحكم هو ما لا تختلف فيه الأفهام؛ لأن النص فيه واضح وصريح لا يحتمل سواه، و«المتشابه» هو الذي نتعب في فهم المراد منه، ومادمنا سنتعب في فهم المراد منه فلماذا أنزله؟

ويوضح لنا سبحانه ـ كما قلت لك ـ خذ الشيء مع حكمته كي تعرف لماذا نزل؟ فالحكم جاء للأحكام المطلوبة من الخلق، أي افعل كذا، ولا تفعل كذا، ومادامت أفعالا مطلوبة من الخلق فالذي فعلها يثاب عليها، والذي لم يفعلها يعاقب، إذن فسيترتب عليها ثواب وعقاب، فيأتي بها صورة واضحة، وإلا لقال واحد: «أنا لم أفهم»، إن الأحكام تقول لك: «افعل كذا ولا تفعل كذا» فهي حين تقول: «افعل»؛ أنت صالح ألا تفعل، فلو كنت مخلوقاً على أنك تفعل فقط؛ لا يقول لك: افعل،

لكن لأنك صالح أن تفعل وألا تفعل فهو يقول لك: «افعل» وساعة يقول لك: «لا تفعل»، فأنت صالح أن تفعل، فلا يقال: «افعل ولا تفعل» إلا لأنه خلق فيك صلاحية أن تفعل أو لا تفعل، ونلحظ أنه حين يقول لي: افعل كذا ولا تفعل كذا يريد أن أقف أمام شهوة نفسي في الفعل والترك، ولذلك يقول الحق في الصلاة ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾:[البقرة] ، فعندما يقول لي: «افعل ولا تفعل» معناها: أن فيه أشياء تكون ثقيلة أن أفعلها، وأن شيئا ثقيلا علي أن أتركه، فمثلا البصر خلقه الله صالحا لأن يرى كل ما في حيزه. على حسب قانون الضوء، والحق يقول له﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[يونس:١٠١]:

ولكن عند المرأة التي لا يحل لك النظر إليها يقول الحق: أغضض . ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور]

ومعنى «يغضوا» و«يغضض» أنه سبحانه حدد حركة العين، ومثال آخر؛ اليد تتحرك فيأمرك ـ سبحانه ـ ألا تحركها إلا في مأمور به، فلا تضرب بها أحداً، ولا تشعل بها ناراً تحرق وتفسد بل أشعل بها النار لتطبخ مثلاً. إذن فهو سبحانه يأتي في «افعل ولا تفعل» ويحدد شهوات النفس في الفعل أو الترك، فإن كانت شهوة النفس بأنها تنام، يقول الأمر التعبدي: قم وصل، وإن كانت شهوة النفس بأنها تغضب يقول الأمر الإيماني: لا تغضب .

إذن فالحكم إنما جاء بافعل ولا تفعل لتحديد حركة الإنسان، فقد يريد أن يفعل فعلاً ضاراً؛ فيقول له: لا تفعل، وقد يريد ألا يفعل فعل خير يقول له: افعل. إذن فكل حركات الإنسان محكومة بـ«افعل ولا تفعل»، وعقلك وسيلة من وسائل الإدراك، مثل العين والأذن واللسان. إن مهمة العقل أن يدرك، فتكليفه يدعوه إلى

أن يفهم أمراً ولا يفهم أمرا آخر، وجعل الله الآيات المحكمة ليريح العقل من مهمة البحث عن حكمة الأمر المحكم؛ لأنها قد تعلو الإدراك البشري. ويريد الحق أن يلزم العبد آداب الطاعة حتى في الشيء الذي لا تدرك حكمة تشريعه، وأيضا لتحرك عقلك لترد كل المتشابه إلى المحكم من الآيات. وإذا قرأنا قول الحق: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣) ﴾ [الأنعام] نرى أن ذلك كلام عام. وفي آية أخرى يقول سبحانه﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾: [القيامة] ويتكلم عن الكفار فيقول:﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥) ﴾ [المطففين]. إذن فالعقل ينشغل بقوله: «لا تدركه الأبصار»، وهذا يحدث في الدنيا، أما في الآخرة فسيكون الإنسان قد تم إعداده إعداداً آخر ليرى الله، نحن الآن في هذه الدنيا بالطريقة التي أعدنا بها الله لنحيا في هذا العالم لا نستطيع أن نرى الله، ومسألة إعداد شيء ليمارس مهمة ليس مؤهلا ولا مهيأ لها الآن، أمر موجود في دنيانا، فنحن نعرف أن إنسانا أعمى يتم إجراء جراحة له أو يتم صناعة نظارة طبية له فيرى. ومن لا يسمع أو ثقيل السمع نصنع له سماعة فيسمع بها .فإذا كان البشر قد استطاعوا أن يعدوا بمقدوراتهم في لكون المادي أشياء لتؤهلهم إلى استعادة حاسة ما، فما بالنا بالخالق الأكرم الإله المربي، ألا يستطيع أن يعيد خلقنا في الآخرة بطريقة تتيح لنا أن نرى ذاته ووجهه؟! إنه القادر على كل شيء. إذن فالأمر هنا متشابه، إن الله يدرك ـ بضم الياء وفتح الراء ـ أو لا يدرك، فما الذي تغير من الأحكام بالنسبة لك؟ لا شيء.

إذن فهذه الآيات المتشابهات لم تأتي من أجل الأحكام، إنما هي قد جاءت من أجل الإيمان فقط، ولذلك فالرسول ﷺ يهي كل خلاف للعلماء حول هذه المسألة بقوله وهو الرسول الخاتم: «إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضا فما عرفتم منه

فاعلموا به وما تشابه منه فآمنوا به» .

إن المتشابه من الآيات قد جاء للإيمان به، والمحكم من الآيات إنما جاء للعمل به، والمؤمن عليه دائما أن يرد المتشابه إلى المحكم. مثال ذلك عندما نسمع قول الله عز وجل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾: [الفتح] .

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [سورة طه]. فهل لله جسم يستقر به على عرش؟ هنا نقول: هذا هو المتشابه الذي يجب على المؤمن الإيمان به، ذلك أن وجودك أيها الإنسان ليس كوجود الله، ويدك ليست كيد الله وأن استواءك أيضا ليس كاستواء الله .

ومادام وجوده سبحانه ليس كوجودك وحياته ليست كحياتك فلماذا تريد أن تكون يده كيدك؟ هو كما قال عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾. ولماذا أدخلنا الله إلى تلك المجالات؟ لأن الله يريد أن يلفت خلقه إلى أشياء قد لا تستقيم في العقول؛ فمن يتسع ظنه إلى أن يؤول ويردها إلى المحكم بأن الله ليس كمثله شيء.

فله ذلك، ومن يتسع ظنه ويقول: أنا آمنت بأن لله يداً ولكن في إطار ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، فله ذلك أيضا وهذا أسلم .

والحق يقول: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ومعنى «أم» أي الأصل الذي يجب أن ينتهي إليه تأويل المتشابه إن أولت فيه، أو ترجعه إلى المحكم فتقول: إن لله يداً، ولكن ليست كأيدي البشر. إنما تدخل في نطاق: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى١١].

ولماذا قال الحق: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ؟ ولم يقل: هن أمهات الكتاب؟ لك أن

تعرف أيها المؤمن أنه ليس كل واحدة منهن أما، ولكن مجموعها هو الأم، ولتوضيح ذلك فلنسمع قول الحق ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠ ﴾ : [المؤمنون].

لم يقل الحق: إنهما آيتان؛ لأن عيسى عليه السلام لم يوجد كآية إلا بميلاده من أمه دون أب أي بضميمة أمه، وأم عيسى لم تكن آية إلا بميلاد عيسى أي بضميمة عيسى. إذن فهما معاً يكونان الآية، وكذلك ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ فالمقصود بها ليس كل محكم أما للكتاب، إنما المحكمات كلها هي الأم، والأصل الذي يرد إليه المؤمن أي متشابه. ومهمة المحكم أن نعمل به، ومهمة المتشابه أن نؤمن به؛ بدليل أنك إن تصورته على أي وجه لا يؤثر في عملك. فقوله الحق: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ لا يترتب عليه أي حكم، هنا يكفي الإيمان فقط .

لكن ماذا من أمر الذين قال عنهم الله:﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ . ولنا أن نعرف أن "الزيغ" هو الميل، فزاغ يعني مال، وهي مأخوذة من تزايغ الأسنان، أي اختلاف منابتها، فسنة تظهر داخلة، وأخرى خارجة، وعندما لا تستقيم الأسنان في طريقة نموها يصنعون لها الآن عمليات تجميل وتقويم ليجعلوها صفاً واحداً .

إن الذين في قلوبهم زيغ أي ميل، يتبعون ما تشابه من الآيات ابتغاء الفتنة. كأن الزيغ أمر طارئ على القلوب، وليس الأصل أن يكون في القلوب زيغ، فالفطرة السليمة لا زيغ فيها، لكن الأهواء هي التي تجعل القلوب تزيغ، ويكون الإنسان عارفاً لحكم الله الصحيح في أمر ما، لكن هوى الإنسان يغلب فيميل الإنسان عن حكم الله .والميل صنعة القلب، فالإنسان قد يخضع منطقه وفكره ليخدم ميل قلبه،

ولذلك فرسول الله ﷺ يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به».

لماذا؟ لأن آفة الرأي الهوى، وحتى المنحرفون يعرفون القصد السليم، لكن الواحد منهم ينحرف لما يهوي، ودليل معرفة المنحرف للقصد السليم أنه بعد أن يأخذ شرته في الانحراف يتوب ويعلن توبته، وهذا أمر معروف في كثير من الأحيان؛ لأن الميل تكلف تبريري، أما القصد السليم فأمر فطري لا يرهق، ومثال ذلك: عندما ينظر الإنسان إلى حلاله، فإنه لا يجد انفعال ملكة يناقض انفعال ملكة أخرى، ولكن عندما ينظر إلى واحدة ليست زوجته، فإن ملكاته تتعارك، ويتساءل: هل ستقبل منه النظرة أم لا؟ إن ملكاته تتضارب، أما للنظر إلى الحلال فالملكات لا تتعب فيه.

لذلك فالإيمان هو اطمئنان ملكات، فكل ملكات الإنسان تتآزر في تكامل، فلا تسرق ملكة من وراء أخرى.

مثال آخر: عندما يذهب واحد لإحضار شيء من منزله، فإنه لا يحس بتضارب ملكاته، أما إذا ذهب إنسان آخر لسرقة هذا الشيء فإن ملكاته تتضارب، وكذلك جوارحه؛ لأنها خالفت منطق الحق و لاستقامة والواقع. ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ إذن فاتباعهم للمتشابه منه ليؤولوه تأويلاً يخالف الواقع ليخدموا الزيغ الذي في قلوبهم. فالميل موجود عند قلوبهم أولاً ثم بدأ الفكر يخضع للميل، والعبارة تخضع للفكر، وهكذا نرى أن الأصل في الميل قد جاء منهم .. ولننظر إلى أداء القرآن الكريم حين يقول: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف٥]. كأنه يقول: مادمتم تريدون الميل فسأميلكم أكثر وأساعدكم فيه. والحق سبحانه لا يبدأ إنسانا بأمر يناقض تكليفه، لكن الإنسان قد يميله هواه إلى الزيغ، فيتخلى الله عنه: ويدفعه إلى هاوية الزيغ وآية أخرى يقول فيها الحق:

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟

صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾[التوبة:١٢٧]

إنهم الذين بدأوا؛ انصرفوا عن الله فصرف الله قلوبهم بعيداً عن الإيمان .وكذلك الذين يتبعون المتشابه يبتغون به الفتنة ؛ي يطلبون الفتنة، ويريدون بذلك فتنة عقول الذين لا يفهمون، وماداموا ضد المنهج فهم ليسوا مؤمنين إذن وماداموا غير مؤمنين فلن يهديهم الله إلى الخير، لأن الإيمان يطلب من الإنسان أن يتجه فقط إلى الإيمان بالرب الإله الحكيم، ثم تأتي المعونة بعد ذلك من الله. لكن عندما لا يكون مؤمنا فكيف يطلب المعونة من الله، إنه سبحانه يقول :(أنا أغنى الشركاء عن الشرك). إنهم يبتغون الفتنة بالمتشابه، ويبتغون تأويله، ومعنى التأويل هو الرجوع، لأننا نقول: «آل الشيء إلى كذا، فكأن شيئاً يرجع إلى شيء، فمن لهم عقل لا زيغ فيه يحاولون جاهدين أن يؤولوا المتشابه ويردوه إلى المحكم، أو يؤمنوا به كما هو» . يقول الحق بعد ذلك: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ إن الله لو أراد للمتشابه أن يكون محكما، لجاء به من المحكم، إذن فإرادة الله أن تكون هناك آيات المتشابه ومهمتها أن تحرك العقول، وذلك حتى لا تأتي الأمور بمنتهى الرتابة التي يجمد بها عقل الإنسان عن التفكير والإبداع، والله يريد للعقل أن يتحرك وأن يفكر ويستنبط. وعندما يتحرك العقل في الاستنباط تتكون عند الإنسان الرياضة على الابتكار، والرياضة على البحث، وليجرب كل واحد منا أن يستنبط المتشابه إلى المحكم ولسوف يمتلك بالرياضة ناصية الابتكار والبحث، والحاجة هي التي تفتق الحيلة .

إن الحق يريد أن يعطي الإنسان دربة حتى لا يأخذ المسألة برتابة بليدة ويتناولها تناول الخامل ويأخذها من الطريق الأسهل، بل عليه أن يستقبلها باستقبال واع وبفكر وتدبر ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد].

كل ذلك حتى يأخذ العقل القدر الكافي من النشاط ليستقبل العقل العقائد بها

يريده الله، ويستقبل الأحكام بما يريده الله، فيريد منك في العقائد أن تؤمن، وفي الأحكام أن تفعل ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ . والذين في قلوبهم زيغ يحاولون التأويل وتحكمهم أهواؤهم، فلا يصلون إلى الحقيقة. والتأويل الحقيقي لا يعلمه إلا الله. قد رأينا من يريد أن يعيب على واحد بعض تصرفاته فقال له: يا أخي أتدعي أنك أحطت بكل علم الله؟ فقال له: لا .قال له: أنا من الذي لا تعلم. وكأنه يرجوه أن ينصرف عنه. والعلماء لهم وقفات عند قوله الحق: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ بعضهم يقف عندهم ويعتبر ما جاء من بعد ذلك وهو قوله الحق: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ كلاماً مستأنفاً، إنهم يقولون: إن الله وحده الذي يعلم تأويل المتشابه، والمعنى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ أي الثابتون في العلم، الذين لا تغويهم الأهواء، إنهم: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ وهو ما قاله الرسول ﷺ ، إن الراسخين في العلم يقولون: إن المحكم من الآيات سيعلمون به، والمتشابه يؤمنون به، وكل من المتشابه والمحكم من عند الله. أما من عطف وقرأ القول لحكيم ووقف عند قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ نقول له: إن الراسخين في العلم عموا تأويل المتشابه، وكان نتيجة علمهم قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ .

إن الأمرين متساويان، سواء وقفت عند حد علم الله للتأويل أو لم تقف. فالمعنى ينتهي إلى شيء واحد. وحيثية الحكم الإيماني للراسخين في العلم هي قوله الحق على لسانهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ فالمحكم من عند ربنا، والمتشابه من عند ربنا، وله حكمة في ذلك؛ لأنه ساعة أن يأمر الأعلى الأدنى بأمر ويبين له علته فيفهم الأدنى ويعمل، وبعد ذلك يلقي الأعلى الأمر آخر ولا يبين علته، فواحد ينفذ الأمر وإن لم يعرف العلة، وواحد آخر يقول: لا، عليك أن توضح لي العلة. فهل الذي آمن آمن بالأمر أو بالعلة؟

إن الحق يريد أن نؤمن به وهو الآمر، ولو أن كل شيء صار مفهوماً لما صارت هناك قيمة للإيمان. إنما عظمة الإيمان في تنفيذ بعض الأحكام وحكمتها غائبة عنك؛ لأنك إن قمت بكل شيء وأنت تفهم حكمته فأنت مؤمن بالحكمة، ولست مؤمنا بمن أصدر الأمر

وعندما نأتي إلى لحم الخنزير الذي حرمه الله من أربعة عشر قرناً، ويظهر في العصر الحديث أن في أكل لحم الخنزير مضار، ويمتنع الناس عن أكله لأن فيه مضار، فهل امتناع هؤلاء أمر يثابون عليه؟ طبعاً لا، لكن الثواب يكون لمن امتنع عن أكل لحم الخنزير لأن الله قد حرمه؛ ولأن الأمر قد صدر من الله، حتى دون أن يعرفنا الحكمة، إن المؤمن بالله يقول :إن الله قد خلقني ولا يمكن ـ وهو الخالق ـ أن يخدعني وأنا العبد الخاضع لمشيئته.

إن العبد الممتنع عن أكل لحم الخنزير وشرب الخمر امتثالاً لأمر الله، هو الذي ينال الثواب، أما الذي يمتنع خوفاً من اهتراء الكبد أو الإصابة بالمرض فلا ثواب له .وهناك فرق بين الذهاب إلى الحكم بالعلة. وبين الذهاب إلى الحكم بالطاعة للآمر بالحكم.

إذن فالمتشابه من الآيات نزل للإيمان به، والراسخون في العلم يقابلهم من تلويهم الأهواء، والأهواء تلوي إلى مرادات النفس وإلى ابتغاءات غير الحق. ومادامت ابتغاءات غير الحق، فغير الحق هو الباطل، فكل واحد من أهل الباطل يحاول أن يأتي بشيء يتفق مع هواه. ولذلك جاء التشريع من الله ليعصم الناس من الأهواء؛ لأن هوى إنسان ما قد يناقض هوى إنسان آخر، والباقون من الناس قد يكون لهم هوى يناقض بقية الأهواء. والحق سبحانه يقول :

﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ

فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ [المؤمنون]

إذن فلابد أن نتبع في حركتنا ما لا هوى له إلا الحق، والدين إنما جاء ليعصمنا من الأهواء؛ فالأهواء هي التي تميلنا، والذي يدل على أن الأهواء هي التي تميل إلى غير الحق أن صاحب الهوى يهوى حكماً في شيء، ثم تأتي ظروف أخرى تجعله يهوى حكماً مقابلاً، إنه يلوي المسألة على حسب هواه، وإلا فما الذي ألجأ دنيا الناس إلى أن يخرجوا من قانون السماء الأول الذي حكم الأرض عند آدم عليه السلام؟

لقد خرجوا من قانون السماء حينما قام قوم بأمر الدين فأخذوا لهم من هذا سلطة زمنية، وأصبحوا يخضعون المسائل إلى أهوائهم. ونحن إذا نظرنا إلى تاريخ القانون في العالم لوجدنا أن أصل الحكم في القضايا إنما هو لرجال الدين والكهنة والقائمين على أمر المعابد. كان الحكم كله لهم، لأن هؤلاء كانوا هم المتكلمين بمنهج الله .

ولماذا لم يستمر هذا الأمر، وجاءت القوانين الرومانية والإنجليزية والفرنسية وغيرها؟ لأنهم جربوا على القائمين بأمر الدين أنهم خرجوا عن نطاق التوجيه السماوي إلى خدمة أهوائهم، فلاحظ الناس أن هؤلاء الكهنة يحكمون في قضية بحكم من يختلف عن حكم آخر في قضية متشابهة. إنهم القضاة أنفسهم والقضايا متشابهة متماثلة، لكن حكم الهوى يختلف من قضية إلى أخرى، بل وقد يتناقض مع الحكم الأول، فقال الناس عن هؤلاء الكهنة:

«لقد خرجوا عن منطق الدين واتبعوا هواءهم، ليثبتوا لهم سلطة زمنية، فنحن لم نعد نأمنهم على ذلك» . وخرج التقنين والحكم من يد الكهنة ورجال الدين إلى غيرهم من رجال التقنين. لقد كان أمر القضاء بين الكهنة ورجال الدين؛ لأن الناس افترضت فيهم أنهم يأخذون الأحكام من منهج الله، فلما تبين للناس أن الكهنة ورجال الدين لا يأخذون الحكم من منهج الله، ولكن من الهوى البشري، عند ذلك

أخذ الناس زمام التقنين لأنفسهم بما يضمن لهم عدالة ما حتى ولو كانت قاصرة .

وبمناسبة كلمة الهوى نجد أن هناك ثلاثة ألفاظ :

أولا: الهواء هو ما بين السماء والأرض، ويراد به الريح ويحرك الأشياء ويميلها وجمعه: الأهوية وهذا أمر حسي .

ثانيا: الهوى: وهو ميل النفس، وجمعه: الأهواء، وهو مأخوذ من هوى يهوى بمعنى مال

ثالثا: الهوى: بفتح الهاء وضمها ونشديد الياء وهو السقوط مأخوذ من هوى يهوى: بمعنى سقط. وهذا يدل على أن الذي يتبع هواه لابد أن يسقط، والاشتقاقات اللغوية تعطي هذه المعاني. إنها متلاقية. إذن الراسخون في العلم يقفون ثابتين عند منهج الله. وأما الذين يتبعون أهواءهم فهم يميلون على حسب ميل الريح. فإن مالت الريح ، مالوا حيث تميل

ويقول الراسخون في العلم في نهاية علمهم: آمنا ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ . وهنا تلتقي المسألة، فنحن نعرف أن المحكم نزل للعمل به، والمتشابه نزل للإيمان به لحكمة يريدها الله سبحانه وتعالى، وهي أن نأخذ الأمر من الآمر لا لحكمة الأمر .وعندما نأخذ الأوامر من الحق فلا نسأل عن علتها؛ لأننا نأخذها من خالق محب حكيم عادل. والإنسان إن لم ينفذ الأمر القادم من الله إلا إذا علم علته وحكمته فإننا نقول لهذا الإنسان: أنت لا تؤمن بالله ولكنك تؤمن بالعلة والحكمة، والمؤمن الحق هو من يؤمن بالأمر وإن لم يفهم. والراسخون في العلم يقولون: آمنا به، كل من عند الله، المحكم من عند ربنا والمتشابه من عند ربنا.

ويضيف سبحانه: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ و«أولو الألباب» أي أصحاب العقول المحفوظة من الهوى، لأن آفة الرأي الهوى، والهوى يتمايل به.

و«اللب» هو: لعقل، يخبرنا الله أن العقل يحكم لب الأشياء لا ظواهر لأشياء وعوارضها، فهناك أحكام تأتي للأمرَ الظاهر، وأحكام للب. الحق يأمر بقطع يد السارق. وبعد ذلك يأتي من يمثل دور حامي الإنسانية والرحمة ويقول: "هذه وحشية وقسوة!!.

هذا ظاهر الفهم، إنما لب الفهم أني أردت أن تقطع يد السارق حتى أمنعه أن يسرق؛ لأن كل واحد يخاف على ذاته، فيمنعه ذلك أن يسرق. وقد قلنا من قبل إن حادثة سيارة قد ينتج عنها مشوهون قدر من قطعت أيديهم بسبب السرقة في تاريخ الإسلام كله، فلا تفتعل وتدعي أنك رحيم ولا تنظر إلى العقاب حين ينزل بالمذنب، ولكن انظر إلى الجريمة حين تقع منه، فإن الله يريد أن يحمي حركة الحياة للناس بحيث إذا علمت وكدت واجتهدت وعرقت يضمن الله لك حصيلة هذا العمل، فلا يأتي متسلط يتسلط عليك ليأخذ دمه من عرقك أنت .

إذن فهو يحمي حركة الحياة وتحرك كل واحد وهو آمن، هذا «لب» الفهم، ولذلك يقول تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ ، إياكم أن تقولوا: إن هذا القصاص اعتداء على حياة فرد. لا، لأن ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ ، إن من علم إنه إن قتل فسيقتل، سيمتنع عن القتل، إذن فقد حمينا نفسه وحمينا الناس منه، وهكذا يكون في القصاص حياة، وذلك هو لب الفهم في الأشياء؛ فالله سبحانه وتعالى يلفتنا وينبهنا ألا نأخذ الأمور بظواهرها، بل نأخذها بلبها، وندع القشور التي يحتكم إليها أناس يريدون أن ينفتوا من حكم الله. ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾ ، حينما فصلوا في أمر المتشابه دعوا الله بالقول الذي أنزله ـ سبحانه ـ:

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾



حوار الإيمان حول العلم والعلماء

س: ما هو مفهوم العلم؟

ج: العلم معناه الإحاطة بشيء معلوم ... وهذا الشيء المعلوم له درجتان:

الأولى: العلم الظني... كعلمنا بالجن والملائكة.

والثانية: العلم اليقيني... كعلمنا بأن الواحد نصف الاثنين.

س: وهل يكفي علمنا الظني بوجود الجن والملائكة ... لتحقيق ركن الإيمان في النفس؟.

ج: نعم فالإيمان بوجود الجن والملائكة... لا يمكن أن يتجاوز مرتبة الظن... وهي كافية للنجاة شرعاً... تنفيذاً لقوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [البقرة: ٣].. فهذا إيمان بالغيب. ولكنه إيمان بعلم ظني...قال تعالى:﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾ [النجم].

س: وهل علمنا بالله تعالى... هل هو علم ظني.. أم هو علم يقيني؟

ج: العلم بالله لا يكون علماً بالغيب مطلقاً... وإنما يجب أن يكون علماً يقينياً... بالنظر والتدبر... والتفكر في خلق الله... كما أمرنا سبحانه وتعالى.. بالنظر في ملكوته. في كثير من الآيات... لتصل إلى مرتبة العلم اليقيني بوجوده... وكأنها شهادة رأي العين.

س: هل اليقين درجة من درجات العلم؟

ج: بالعكس العلم درجة من درجات اليقين.

س: وما هي درجات اليقين؟

ج: لليقين ثلاث درجات: علم ـ وعين ـ وحق.

س: وهل يوجد مثل يقرب هذا المعنى؟

ج: أنا أعلم يقيناً أنه توجد فاكهة تسمى تفاح... ولكنني لم أرها في حياتي.. فهذا علم اليقين... ثم رأيت التفاحة أمامي.. وقال قائل: هذه تفاحة... هنا ترقى علمي بوجود تلك الفاكهة إلى درجة ـ عين اليقين ـ حيث رأيت التفاحة بعينها. ثم نظرت جمالها... ولمست نعومتها ... وشممت رائحتها ... وذقت طعمها... فترقى يقيني بوجودها إلى درجة ـ حق اليقين.

س: وهل علم الله تعالى مثل علمنا؟

ج: نستغفر الله... فهو سبحانه ليس كمثله شيء... وإنما العلم عند الله ـ العليم ـ له تعلقان:

التعلق الأول: ويسميه علماء التوحيد (الصلوحي القديم).. أي الشيء يكون معلوماً لله تعالى... وهو صالح للخلق والايجاد والتكوين... ولكن الله تعالى ... لم يوجده بعد... مثل قوله تعالى عن الإنسان: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان] بمعنى أن كل إنسان قبل خلقه ـ كان معلوما لله تعالى علماً(صلوحيا قديماً).. ولكنه لم يكن شيئاً مخلوقاً مكوناً مذكوراً.

التعلق الثاني: ويسميه العلماء(التنجيزي ـ أو الصلوحي الحادث) وذلك بعد إيجاده وخلقه وتكوينه.

وسأضرب لك مثلاً آخر يزيد هذا الأمر توضيحاً ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ﴾ معلوم صلوحي قديم... وقوله: ﴿إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ﴾ كأننا في الحصول

الحادث... المتعلق بالزمانية والمكانية والكمية والكيفية. أن نقول لهذا الشيء المعلوم القديم ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]. يعني يكون في عالم المادة والكون . فيكون هذا الشيء المعلوم... قد انتقل من العلم الصلوحي القديم إلى العلم الصلوحي الحادث.

س: يقول تعالى في سورة الروم: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾. [الرُّوم]. بكسر اللام فلماذا خص العالمين - أي العلماء - في هذا المقام؟

ج: العالمون فقط هم الذين يستصيعون استيعاب المقصود في تلك الآية... فقد يظن البعض أنّ معنى(اختلاف ألسنتكم) أي اختلاف اللغات... ولكن الانسان يستطيع حصر جميع اللغات التي يتخاطب بها البشر... ومتى تم حصرها... فقدت قدرة الله عظمتها... لأن قدرة الله تعالى - لا يحدها حد... ولا يحصرها عد. ولكن المقصود باختلاف الألسنة... هو أن لكل إنسان صوتاً خاصاً يميزه... فأنت تستطيع أن تقول: هذا صوت فلان... دون أن تراه... فلكل إنسان صوت خاص به.. من لدن آدم عليه السلام - إلى يوم لقيامة... وهنا تبرز الآية لتنبئ عن عظمة الخالق وقدرته.

كما يظن البعض أنّ (اختلاف ألوانكم) بمعنى أن هذا أبيض .. وذاك أسود .. وغيره أصفر أو قمحي... وبحصر المعنى في العدد المحدود من ألوان البشر... تقليل من عظمة الله وقدرته .. وإنما اختلاف الألوان... أنك تجد جميع الوجوه في صورة واحدة متقاربة... فلكل إنسان عينان وأذنان وأنف وفم وجبهة وذقن .... ولكنك برغم ما أمامك من ملايين الرحوه المتشابهة... تستطيع أن تميز وجه زيد من وجه عمر... ووجه زينب من وجه فاطمة... فكل إنسان له شبه خاص

يميزه... من لدن آدم عليه السلام - إلى يوم القيامة.

وتلك أيضاً هي نظرية اختلاف البنان - أي البصمات - لكل بنان بصمة تميزه ... من لدن آدم عليه السلام - إلى يوم القيامة.

تلك هي عظمة الخالق البارئ المصور - العليم - ولن يستطيع الوصول إلى تدبر تلك الآيات إلاَّ أولوا العلم.

ولعلَّ نفس المعنى نلمسه في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾. [آل عمران]. فقد جعل الله تعالى - ما يصل إليه أولوا العلم... بالنظر في الكون ... علماً وتطبيقاً... وفحصاً وتدقيقاً... مساوياً تماماً لما شهد به تعالى لذاته وملائكته.... لأن أولوا العلم لم يقفوا بشهادتهم عند حدّ السماع... بل نظروا حتى وصلوا بعلمهم إلى درجة حق اليقين.

س: هل للمعاصي أثر في دفع فيض الاسم - العليم - عن النفس؟

ج: المعاصي ظلمات.. والعلم نور.. ولهذا يقول الإمام الشافعي.. رضي الله عنه.

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يُهدى لعاصي

ويعجبني في هذه المناسبة... قول عطاء الله السكندري - رضي الله عنه:

« إذا اعتادت النفوس على ترك الآثام... جالت الروح في ميادين الملكوت... وتعود إلى صاحبها محملة بطرائف الحكم... ويعلمه الله من غير معلم.. فينطق بالحكمة.. ويتكلم بالنور» وهذا يطابق قوله تعالى:﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ [البقرة].

س: هل للعلم حدود يقف عنده العقل؟

ج: العلم صفة من صفات الله تعالى... وصفات الله لا نهاية لها ..وقال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥ ﴾. [الإسراء]. ولعله تعالى قد محا هذا القليل أيضاً عندما قال سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٢١٦ ﴾. [البقرة].

أن السلامة ياأخي من مزالق الزلل... ومهاوي الخطأ والخطل.. هي التي تضع أمام العقل الحدود التي يجب أن يقف عندها بحثه... وينتهي إليها استقراءه ودراسته... فإن في ذلك الأمن من الزندقة... والنجاة من الإلحاد.

ولنضع في اعتبارنا أن العليم من جنوده القبض والبسط... يقبض العلم عن فلان... ويبسطه لفلان.. كل بحسب استعداده... لأن كمال الامداد من كمال الاستعداد.

س: وما أثر الاسم ـ العليم ـ في عباد الله؟

ج: أثر هذا الاسم ظاهر في تجلياته على عباد الله... والفرق ظاهر بين علم الله تعالى وعلم عباده... في ثلاثة فروق.

الأول: أن معلومات العبد محصورة في القليل... مهما اتسع نطاق تلك المعلومات.

والثاني: أن علم العبد لا يمكن أن يبلغ الغاية في الشيء المعلوم.. لأن مشاهدته للأشياء كأنه يراها من وراء ستر رقيق... ودرجات المشاهدة تختلف من انسان لآخر.. فالبصيرة العلمية أقوى من حاسة البصر العادية... وفرق بين الرؤية وقت الإسفار... وبينها في ضحوة النهار.

والثالث: أن علم الله تعالى غير مستفاد من الأشياء المعلومة... بل الأشياء

والمعلومات مستفادة منه ـ تعالى ـ أما علم الإنسان فهو مستفاد من الأشياء ... وفرق كبير بين الحالتين. ولنضرب لذلك مثلاً بسيطاً ـ ولله المثل الأعلى ـ فهناك فرق واضح بين علم متعلم التلفاز وبين علم من اكتشفه واخترعه... فالذي اكتشفه واخترعه هو سبب وجوده... ووجود التلفاز هو السبب في علم من تعلمه.. وعلم المكتشف والمخترع سابق على علم المتعلم.

فكذلك علم الله تعالى بالأشياء والمعلومات سابق عليها... وسبب وجودها ... ويكفي بالعبد شرفا أن يكون عالمًا بفيض من صفة الله تعالى بتجليات من اسم ـ العليم. وأشرف المعلومات هو العلم المتعلق بالله تعالى... ولهذا كانت معرفته ـ تعالى ـ بصفاته هي أفضل المعارف ... بل معرفة سائر الأشياء موصلة إلى طريق الله عز وجل ـ ومقربه إليه... فهي التي تعرفنا عليه... وهذا هو الشرف الأعظم ... والعلم الأعز الأكرم.

س: وما هى آداب المتعلم مع الله العليم ـ عز وجل؟

ج: من آداب المتعلم... الذي أفاض العليم عليه من فضله... ألا يغتر بعلمه، وأن يعرف مقدار نفسه بالنسبة إلى جناب العليم ـ سبحانه ـ وقد سأل موسى عليه السلام ربه... قائلاً:يارب من أعلم الناس ؟ فقال تعالى له:« أعلم الناس من يضم علم الناس إلى علمه.. عسى أن يجد كلمة تدله على هدى...أو ترده عن ردى».

س: وهل يجوز أن نقول: إن الله عارف وعالم؟

ج: هذا التعبير لا يجوز إلاّ في حق الخلق... أما الخالق العليم... فلا يجوز أن نقول عنه: العارف أو العاقل أو الذكي أو الداري أو الفطن... مع أنها كلها تؤدي معنى واحداً... لأن علمه سبحانه كما قلنا نعت من نعوته.. وصفة مختصة بذاته.. ليس بمكتسب... ولا مجال للمعرفة أو العقل أو الدراية أو الفطنة.

س: وما موقف العبد مع العباد في ظلال هذا الاسم العليم؟

ج: إذا تحقق العبد أن الله عليم بخطراته وسكناته.. مطلع على رغباته وحاجاته... فلن يخطر بباله إلا العليم ـ سبحانه ـ فإن سكن قلبه إلى غير الله... عاقبه في الحال إن كان له عند الله قدر.

وقد قرأت عن أحد المقربين... أنه كان جائعا في الطريق... وأشرف على مدينة الري.. يقول: فخطر ببالي أن لى بها معارف... فإذا لجأت إليهم أضافوني وأطعموني... فلما مشيت في شوارع المدينة رأيت منكرا... احتجت أن آمر فيه بالمعروف... فأمرت بالمعروف... فأخذوني وضربوني .. فقلت في نفسي من أين أصابني هذا الضرب على جوعي؟ فنوديت في سري... إنما أصابك لأنك سكنت إلى معارفك بقلبك... وقلت إنهم يطعموني... وغفلت عمن يطعمك ويسقيك.

س: من هو العالم؟ وهل يقتصر العلم على العلم الشرعي فقط؟

ج: العالم هو الذي يعمل بعلمه بما يفيد الناس ويكون علمه صالح للبشرية مرتبط بالله تعالى. والعلم لا يقتصر على العلم الشرعي فقط ولكن أي علم من العلوم الكونية تصل الإنسان بقدرة الله.

س: هل لنا أن نسرد بعض أحاديث الرسول ﷺ في فضل العلم؟

ج: نعم يمكن إيجازها في الجدول التالي:

قال رسول صلى الله عليه وسلم:

م	الحديث
١	«إن فضل العلم خير من فضل العبادة، وخير دينكم الورع».
٢	«أنه دعا لابن عباس رضي الله عنهما، فقال: اللهم فقِّهْهُ في الدين وعلمه التأويل»
٣	«من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم، وإن العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، حتى الحيتان في البحر، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر».
٤	«طلب العلم فريضة على كل مسلم»
٥	«العلم عِلْمان، علم في القلب فذاك العلم النافع، وعلم على اللسان فذاك حجة الله على ابن آدم».
٦	«يحمل من هذا العلم من كل خلف عُدُولُه ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين .
٧	«من يرد الله به خيراً يفقه في الدين»
٨	«تعلّموا العلم وعلّموه الناس، وتعلّموا له الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن تعلمتم منه ولمن علمتموه»
٩	«فضل العالم على العابد كفضلي أنا على أدناكم».
١٠	«الناس معادن، فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا مناط الخيرية»

م	الحديث
١١	«إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض، حتى النملة في حجرها وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير»
١٢	« لا حسد إلا في اثنتين رجل أتاه الله مالا فسلطه علي هلكته في الحق و رجل أتاه الله الحكمة فهو يقضي بها و يعلمها»
١٣	«إنما الدنيا لأربعة نفر، عبد رزقه الله مالاً و علماً فهو يتّقي في ماله ربه ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقه، فهذا بأحسن المنازل عند الله جل وعلا، ورجل آتاه الله علمه ولم يؤته مالاً، فهو يقول :لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيّته، وهما في الأجر سواء».
١٤	« مثل ما بعثني الله به من الهدي والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكان منها طائفة طيبة ، قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلاً فذلك مثل من فقه في الدين ونفعهُ ما بعثني اللهُ به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هُدى الله الذي أرسلتُ به »

س: وماذا عن قول بعض الصحابة والتابعين في فضل العلم؟

ج: نسرد بعض أقوالهم أيضا في الجدول التالي:

م	الراوي	القول
١	معاذ بن جبل	«تعلموا العلم فإن تعلّمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، والأنيس في الوحشة، والصاحب في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والدين عند الأخلاق، والقرب عند الغرباء، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخلق قادة يقتدى بهم، وأئمة في الخلق يقتفي آثارهم، و ينتهى إلى رأيهم، وترغب الملائكة في حبّهم بأجنحتها تمسحهم، حتى كل رطب ويابس لهم مستغفِر، حتى الحيتان في البحر وهوام وسباع البر وأنعامه، والسماء ونجومها. ولأن العلم حياة القلوب من العمى، ونور الأبصار من الظلم، وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ به العبد منازل الأحرار، ومجالسة الملوك، والدرجات العلا في الدنيا والآخرة، والفكر به يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام ، به يطاع الله عز وجل، ويعبد به الله جل وعلا،وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال من الحرام، إمام العمل؛ والعمل تابع له، يُلْهَمُه السعداء ويُحْرَمُهُ الأشقياء».
٢	علي بن أبي طالب	«العلم خير من المال: العلم يحرسك و أنت تحرس المال،والعلم حاكم والمال محكوم عليه، المال تنقصه النفقة والعلم يزكوا بالإنفاق. العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد سلم في الإسلام سلمة لا يسد».

م	الراوي	القول
٣	سفيان بن عيينة	«أرفع الناس منزلة عند الله من كان بين الله وبين عباده، وهم الأنبياء والعلماء»
٤	أبو الدرداء	«مثل العالم في الناس كمثل النجوم في السماء يهتدى بها»، «والجهّال في ظلمة لم يستضيئوا بنور العلم ولا بنور العلماء»
٥	الإمام أحمد ابن حنبل	«الناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام و الشراب؛ لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين في حاجته إلى العلم بعدد أنفاسه».



هبة الله ﷻ لعباد الرحمن ﷺ

مواطن هبة الله لعباد الرحمن ﷺ في القرآن الكريم

السورة	الآية
الفرقان	﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان]

الهبة: الزوجة الصالحة والذرية الطيبة.

الطلب الأصلي: أن يصرف الله عنهم عذاب جهنم.

ما زاد عن الطلب: قرة الأعين في الدنيا والآخرة والذرية الصالحة.

حيثيات الهبة: التواضع ، وقيام الليل ، الخوف من عذاب الله ، الاعتدال في الإنفاق ، البعد عن الشرك ، البعد عن القتل ، البعد عن الزنى ، البعد عن شهادة الزور والكذب ، قبول المواعظ ، الابتهال إلى الله.

تردد ذكر كلمة ﴿قُـرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ في القرآن في أكثر من موضوع فهل سأل أحد منا نفسه عن معنى قرة العين؟

قال العلماء إن ﴿قُـرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ إنما هي مشتقه من استقرار العين وكثيرًا ما قورنت في القرآن بالنعيم وذلك لأن من أعظم نعم الله على العبد أن يرزقه باستقرار عينه وهذا يدل على مدى استقرار قلبه ومدى شعوره بالأمن والطمأنينة لاسيما أن العين بوابه القلب. فأنت إذا ما استقرت عينك استقر قلبك لا محالة. وأنت إذا نظرت إلى عينك وقلبك من ينام منهما قبل الآخر؟ فالعين تنام قبل القلب حيث أن القلب لا يستطيع النوم والعين مفتوحة وهذا مما يدل على أن استقرار العين تدل على استقرار القلب. إن قرة العين رؤية ما تقرَّ به العين يقال: أقرَّ الله عينك أي صادف فؤادك ما يرضيك فتقرَّ عينك حتى لا تطمح بالنظر إلى ما فوقه. وقيل: هي من القرّ أي البرد لأن المستبشر الضاحك يخرج من شؤون عينيه دمع بارد والمحزون المهموم يخرج من عينيه دمع حار.

و في القرآن آيات كثيرة عن قرة العين نوجزها في الجدول التالي:

(جدول قرة العين في القرآن)

م	اسم السورة	الآيات
١	الفرقان	﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ (٧٤)
٢	السجدة	﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ (١٧)
٣	طه	﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾(٤٠)
٤	القصص	﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ (١٣)
٥	الأحزاب	﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ ﴾ (٥١)

يقصد بها برودة العين وهذه تحصل من شدة السعادة.

تقال هذه العبارة فيما يرضي ويسر. ويقال فلان في قرة من العين. يعني في رغد وطيب.

قرة العين هي دمعة الفرح ..

وقرة العين نبتة مائية تنبت في الجداول والمنافع وتزرع. وهى نبات فيه عطرية من جنس البقل وفيه ملاسة. يفوح فم آكله من طيب رائحته، وهو عند أهل مصر وصقلية والإسكندرية من بقول المائدة .منابته في المياه الراكدة العائمة .
قُرَّة العين
يقال: قَرَّ يومنا يُقِرُّ قُرة، ويوم قَر بالفتح أي بارد وليلة قرة وأردت بالحر والبرد الكناية عن الأذى،فالحر عن قليله والبرد عن كثيره

ومنه حديث حذيفة في غزوة الخندق: فلما أخبرته خبر القوم وقررت، قررت أي لما سكنت وجدت مس البرد.

ومنه حديث ابن مسعود قاروا الصلاة أي اسكنوا فيها ولا تتحركوا ولا تعبثوا وهو تفاعل من القرار.

وفي حديث عمر قال لأبي مسعود البدري: (بلغني أنك تفتي ول حارها من تولى قارها) جعل الحر كناية عن الشر والشدة والبرد كناية عن الخير والهين والقار فاعل من القِر البرد أراد: ول شرها من تولى خيرها وول شديدها من تولى هينها ومنه حديث الحسن بن علي في جلد الوليد بن عقبة: ول حارها من تولى قارها وامتنع من جلده .

وفي حديث الاستسقاء: (لو رآك لقرت عيناه) أي لسر بذلك وفرح وحقيقته

أبرد الله دمعة عينيه لأن دمعة الفرح والسرور باردة، وقيل معنى أقر الله عينك بلغك أمنيتك حتى ترضى نفسك وتسكن عينك فلا تستشرف إلى غيره. ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾. ورد في تفسير القرطبي لهذه الآية :

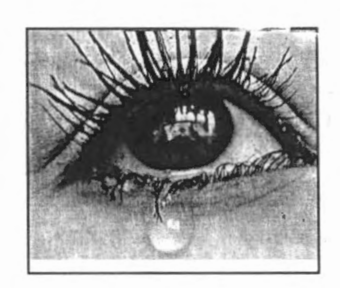
أن الإنسان إذا بوركَ لهُ في ماله وولده قرَّت عينه بأهله ، وعياله ..

حتى إذا كانت عنده زوجة اجتمعت له فيها أمانيه من جمال و عفَّة ، و نَظَر ، وحوطة .... أو كانت عنده ذُرية مُحافظون على الطاعة ، معاونون له على وظائف الدين والدُنيا و لم يلتفت إلى زوج أحد ولا إلى ولده فتسكن عينه عن المُلاحظَة ، ولا تمتد عينه إلى ماترى ، فذلك حين قُرَّت العين ، و سكون النفس . وفي تفسير البغوي ج٣/ ص٣٧٩ .

يعني أولادًا أبرارًا أتقياء يقولون اجعلهم صالحين فتقر أعيننا بذلك.

قال القرطبي ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عز وجل. وقاله الحسن ووحد القرة لأنها مصدر وأصلها من القر لأن العرب تتأذى من الحر وتستريح إلى البرد.

وتذكر قرة العين عند السرور وسخنة العين عند الحزن ، ويقال دمع العين عند السرور بارد وعند الحزن حار.





دموع حارة تعبر عن الحزن

دموع باردة تعبر عن الفرح

وقال الأزهري معنى قرة الأعين أن يصادف قلبه من يرضاه فتقر عينه به عن النظر إلى غيره . أسألُ الله أن يرزقني وإياكم قُرَّة الأعين ..



نبات قرة العين(Nsasturtium officinale)

لنبات قرة العين ... أسماء أخرى...منها..حب الرشاد..وكارسون مائي ... وأبو خنجر ... وحرف الماء(Watercress)... ويسمى أيضا بالجرجير(في

المغرب). وينمو هذا النبات في بيئة الماء العذب... كما ينمو بريا أيضاً وله فوائد طبية كثيرة منها: غني بفيتامين ج والمعادن ويفيد في الزكام و الالتهاب الشعبي، ومدر للبول،وينشط التمثيل الغذائي للجسم، وتستخدم الأوراق كلبخة للروماتيزم والنقرس. والأوراق الغضة لو وضعت يومياً تزيل النمش، والبذور طاردة للديدان من البطن.

أضواء حول هذه الآية المباركة :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ في ثلاثة محاور:

المحور الأول:

حول الفقرة الأولى ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ فما معنى قرة العين ؟

القرة مفهوم يتضمن عنصرين هما : عنصر الأمن والاستقرار وعنصر البهجة . قرة العين هو الذي يكون وجوده موجبا للاستقرار النفسي وموجباً للبهجة والفرحة. فمثلاً : إذا غاب لك عزيز فأنت قلقت نتيجة مغيبه وسفره فإذا رجع من سفره فزال ذلك القلق وحصل الأمن والاستقرار .

يقال : قَرّت عينُكَ برجوعه. لأن رجعه أزال القلق من نفسك. وإذا ولد لك مولود يحمل صفات معينة وخصائل معينة فابتهجت بمقدمه وفرحت بمجيئه يقال : قرت عينك بهذا الوليد الجديد لأن ولادته أصبحت منشأً للبهجة والفرحة.

إذا فقرة العين مفهوم يتضمن عنصرين : الاستقرار النفسي والبهجة النفسية ونحن نركز على كل من هذين العنصرين.

عنصر الاستقرار :

أنتم تعرفون أن الإنسان يحتاج إلى الأمن النفسي والاستقرار النفسي حاجة أساسية. وُلِدَ الإنسان ومعه عقدة الخوف ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ ﴾ وُلِد الإنسان وهو يخاف من الموت والأمراض والكوارث وبطش الأقوياء وفتك الظالمين. وُلِد الإنسان وهو يحمل عقدة الخوف ومن أشد ما يخاف عليه الإنسان وجوده حياته. فالإنسان له وجودان: وجودٌ فردي وهو وجود ذاته ، ووجود اجتماعي وهو وجود أسرته. الوجود الفردي قد لا يخاف عليه الإنسان لأنه قد يطول خمسين أو سبعين سنة .

فهذا الوجود الفردي وجود محدود وسوف ينتهي يوماً من الأيام وفي عمر من الأعمار ولكن هناك وجوداً ليس محدودا ووجوداً سيبقى وهو الوجود الاجتماعي ووجودي من خلال أسرتي وأولادي وأحفاد أحفادي. فهذا الوجود هو الذي سيبقى فوجودي الفردي وجود قصير ولكن هناك وجود آخر وهو وجودي الاجتماعي ووجودي الذي يمتد في أولادي وأولاد أولادي وذريتي، هذا الوجود الاجتماعي أهم عندي من الوجود الفردي لأن هذا الوجود الاجتماعي هو الذي يخلد ذكري ويبقيني على هذه الأرض وهو الوجود الذي يجب أن أخاف عليه. كيف سيكون وجودي في أولادي؟ وكيف سيكون وجودي بعد موتي وكيف سيكون وجودي في هذا المجتمع ؟ ما هي سمعتي بعد موتي ؟ ما هو بقائي بعد موتي ؟ هل أضمن أن تكون ذريتي ذرية صالحة تذكر الناس بي ؟ أم ستكون ذريتي ذريةً فاسدةً تأسف الناس على أنها أصبحت ذريتي ؟ هذا أمر يقلق كل إنسان وهو وجوده الاجتماعي ووجوده في ذريته وحفدته، هذا الوجود كيف سيكون ؟ هل سيكون وجوداً صالحاً فيقول الناس : الخلف خلف صالح كسلفه أم يقول الناس ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ

بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾.

وجودي الاجتماعي وجود يقلقني ، فإذا رزقني الله ذرية صالحة تحمل التدين والصلاح وتحمل مشوار الحياة بتخطيط ووعي كانت ذريتي قرة عيني تعطيني الأمن النفسي، وذلك الخوف الذي أخافه من أن يكون وجودي الاجتماعي وجودًا مزيفاً مشوهاً فإذا وهبني الله الذرية الصالحة حصل ليَ الاطمئنان على وجودي الاجتماعي والاستقرار النفسي من جهة وجودي الاجتماعي وصار وجود ذريتي قرة عين.

وهنا يتحقق العنصر الأول وهو الاستقرار ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : عمل صالح ينفعه وسنة جارية يهتدى بها وولد صالحٍ يدعو له)). فالذرية الصالحة قرة عين تورث الأمن والاطمئنان في النفس.

العنصر الثاني : وهو عنصر البهجة

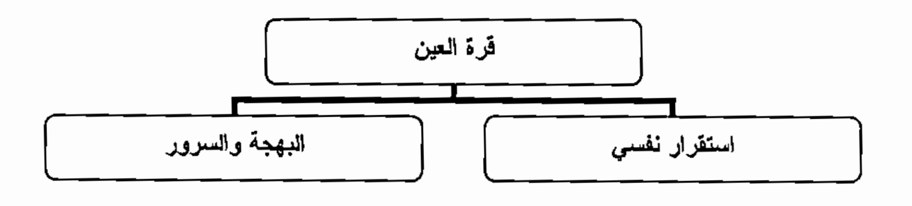
كما أن الإنسان يحمل غريزة الخوف منذ ولادته ويحتاج للأمن والاستقرار النفسي منذ ولادته فالإنسان يحمل غريزة حب الجمال منذ ولادته، فكل إنسان يحب الجمال المادي أو المعنوي . يحب جمال الصوت وجمال الصورة وجمال الخلق وجمال الصفات وأي جمال وأي مرحلة من مراحل الجمال، فالإنسان بغريزته يحب الجمال ويسعى نحو الجمال ويسعى نحو أن يتلبس ويتقمص ويكتسي بالجمال وكل إنسان بفطرته يسعى نحو الجمال وأي جمال أعظم من أن تكون أسرة الإنسان أسرة جميلة .

الأسرة مظهر الإنسان ، زوجته وذريته هم مظهره وثوبه أمام الناس ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ فزوجتك وذريتك هم ثوبك الذي تمشي وتتزين به أمام الناس ، فإذا كانت الزوجة والذرية مظهراً جميلاً ، مظهراً أنيقا بخلقه وتدينه وبصفاته الحسنة إذا فقد تقمصت الجمال وأشبعت غريزتي الفطرية في حب الجمال والسعي إلى الجمال

بقسميه المادي والمعنوي وإذا حصلت على الجمال فقد حصلت على البهجة والبهجة هي قرة العين وإذا حصلت على أُسرةٍ صالحة من زوجةٍ وأولاد فقد حصلت على قرة العين (هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) . قال رجل للنبي محمد ﷺ: «يا رسول الله إني لي زوجة إذا خرجت شيعتني و إذا أقبلت استقبلتني وإذا رأتني مهموماً قالت: ما يهمك ؟» فقال ﷺ: «بشرها بالجنة» وهذه هي الجمال الحقيقي وهي التي تعكس الجمال الحقيقي . قال ﷺ : «ما استفاد امرؤٌ بعد الإسلام أفضل من زوجة تسره إذا نظر إليها وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله» ليس فقط بجمالها فقد تكون جميلة الشكل ولكنها مبغوضة لدى زوجها لشدة قبح فعالها، فالمقصود أن تكون جميلة بخلقها وبسمتها والتي تفيض حناناً وعاطفةً وشفقة على زوجها.

إذا فالزوجة الجميلة بخلقها وبسمتها وشفقتها على زوجها هي قرة عين، لأن الجمال الذي أسعى إليه قد حصلت عيه وحصلت على البهجة وقرة العين. والولد الجميل بخلقه وبتدينه وبسيرته وثقافته هو جمال للأسرة وجمال للوالدين ﴿هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ .

فبالنتيجة قرة العين تعني عنصرين هما عنصر الاستقرار وعنصر البهجة . وعنصر الاستقرار يحصل عندما يضمن الإنسان وجوده الاجتماعي بعد موته وعنصر البهجة يحصل نتيجة سعي الإنسان نحو الجمال فحصل على الجمال الذي يريده ألا وهو جمال أسرته وهي مظهره وثوبه أمام الناس.



المحور الثاني : الفقرة الثانية ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾ .

نذكر هنا أمرين :

١- ما معنى قوله «إماماً»؟.

٢- وما معنى قوله «اجعلنا للمتقين إماما»؟ .

الإمام له معنيان ، فالإمام بالمعنى الأخص هو من ينكشف له عالم الملكوت، فكل من انكشف له عالم الملكوت وعالم ما وراء المادة فهو إمام ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ فهؤلاء أئمة بالمعنى الأخص وهم من انكشف لهم عالم الملكوت فيرى وراء هذا العالم المادي فيرى عالم الأرواح وعالم الأشباح وعالم الملائكة وعالم الجن وسائر الوجودات السيارة في هذا الكون وفي هذا الوجود ما يُرَى وما لا يُرَى. فمن أدرك كل هذه العوالم فهو إمام.

الإمام بالمعنى الأعم هو بمعنى المُقتَدَى فمن يقتدي به الناس في الصلاة فهو إمام ومن يقتدي به الناس في منهج معين فهو إمام سواء أكان إمام هدىً أم إمام ضلال ﴿نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾أي من اقتدوا به سواء كان حقاً أو ضلالا.

والمقصود هنا في الآية ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي قدوة فنحن لا نريد قرة العين فقط فنحن مننت علينا ووهبتنا قرة العين في زوجاتنا وفي ذرياتنا ونحن نطمح لأمر آخر أن تكون أسرنا قدوة للأسر الأخرى وبيوتنا قدوة للبيوت الأخرى. فالمؤمن الواعي هو الذي يسعى نحو الكمال ولأنه يسعى نحو الكمال فلا يقول : واجعلنا للمؤمنين إماماً بل يطلب درجة أعظم ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

المحور الثالث:

وهو الربط بين الآيتين ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ

أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾.

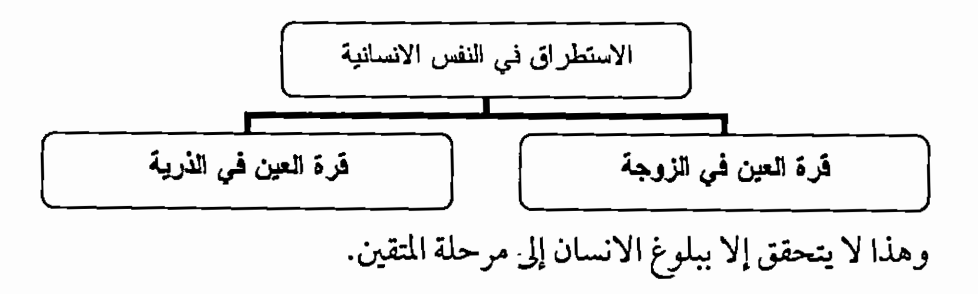
فهذا الذي يريد أن يقول قرة العين مربوطة بالتقوى لا ينفصلان، فقرة العين في الأسرة بالتقوى فالتقوى هي الأساس وإلا فلا شيء آخر فقرة العين منوطة بملاك التقوى فالمهم عنصر التقوى ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ فبعضهم يظن أن علاقته بزوجته وأولاده علاقة أمر بمعروف ونهي عن المنكر فإذا استجابوا فأهلا وسهلاً . المسألة ليست هكذا مجرد أمر بمعروف ونهي عن المنكر فكل إنسان يجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع أسرته أو غير أسرته ولكن هناك واجب عليك في حق أسرتك بالذات وهو غير واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بل أنت مسؤول يوم القيامة عن نفسك وأسرتك .

الخلاصة:

قرة العين في الزوجة: قمة الاستقرار النفسي والتوافق النفسي التي تحصل للعبد من جراء هبة الله تعالى له زوجة صالحة إذا نظر إليه سرّته وإن أمرها أطاعته وإن غاب عنها حفظته في ماله وولده وتلك ذات الدين.

قرة العين في الذرية: أن يعطيه الله تعالى أولاداً صالحين، بحيث لا ينظر إلى من هم أقل من أولاده فيمقتهم ، ولا ينظر إلى من هم أعلى من أولاده فيحسدهم.

والاثنان معاً يؤديان إلى الاستطراق في النفس الإنسانية.



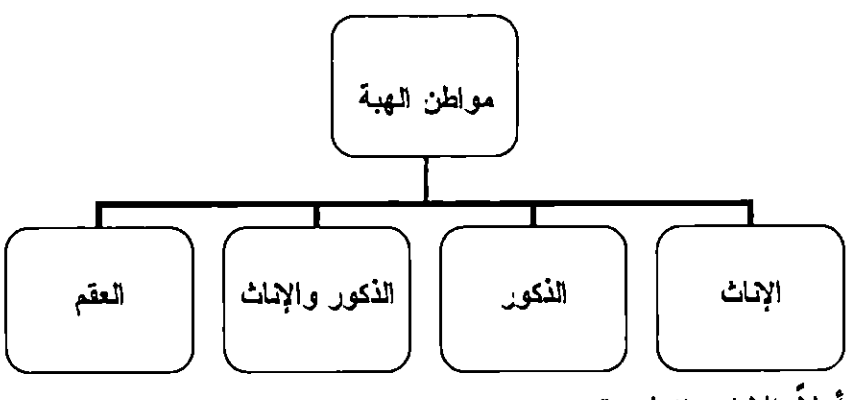
وهذا لا يتحقق إلا ببلوغ الانسان إلى مرحلة المتقين.

هبة الله ﷻ للناس أجمعين

مواطن هبة الله للناس أجمعين في القرآن الكريم

السورة	الآية
الشورى	﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الشورى]

. في هذه الهبة تتجلى فيها طلاقة قدرة الله تعالى في الخلق، فمن رحمته أنه يهب الذرية هنا للطائع والعاصي ، للمسلم والكافر، وليست مقيدة بشرط، فخلق الإناث هبة، وخلق الذكور هبة، وخلق الذكور والإناث هبة، والعقم هبة، إذاً نحن هنا أمام أربعة أنواع من الهبة في سورة الشورى نوضحهم في الآتي:



أولاً: الإناث فقط هبة .

ثانياً:الذكور فقط هبة .

ثالثاً:الذكور والإناث معاً هبة .

رابعاً:العقم هبة .

والحكمة من ذلك تكمن في رحمة الله تعالى المستورة لعبادة فقد يكون خلاف ذلك المضرة لمن وهبه الله تعالى ، فالذي يرزقه الله تعالى بإناث فقط لابد وأن يرضى بقدر الله تعالى في خلقه فيمكن أن يكون له ولد عاق أو ولد يضله ، أو ولد يتسبب بدخوله الجحيم أو ولد قاتل أو غير ذلك ،.... إلخ.

والذي يرزقه الله تعالى بالذكور فقط؛ فيمكن أن تكون له بنات تمارس البغاء ، أو هو يُكْرِهن على البغاء، أو يجلبن له العار، أو لايستطيع تزويجهن، أو يكنّ فتنه لفتيان عصره،.....إلخ.

والذي يرزقه الله تعالى الذكور والإناث...فهو مستقر نفسيًا.. وهذا من أسباب التوازن البيولوجي في الحياة ومن ثم يهديه الله تعالى للحكمة في حسن التربية فيكون معه جزيل الثواب،أو يكون العكس... فيكون معه سوء العقاب و....إلخ.

والعقم هبة فقد يكون الحمل فيه مضاعفات لهلاك الأم، أو يكون الإنجاب (بصرف النظر عن نوع المولود) فتنة للوالدين في الدنيا أو يكون مانعاً لهم للعطف على طفل يتيم أو أطفال مساكين يساعونهم على المعيشه، وبذلك يكون هناك مضاعفة للثواب ورفع للدرجات، التي يمكن أن يحرموا منها لو أن لهم ذرية.



حوار الإيمان حول الذكور والإناث

س: قال تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾﴾ [الشورى]. لماذا قدم الله تعالى الذكور على الإناث؟

ج: لئلا يظن أن بعضهم أفضل من بعض إذا كان بمقياس التقديم والتأخير تساويا من هذا الميزان.

س:لماذا جاءت الإناث نكرة والذكور معرفة في هذه الآية؟

ج: نكّر الإناث وعرف الذكور لأن العرب يصونون الإناث عن الذِكر هذه قاعدة عامة. أنت تعرف الشخص من أبوه ومن أخوه لكن لا تعرف أمه أو أخواته. وحتى في حياتنا الآن من حيث الذكر، الذكور أكثر شيوعاً من الإناث، عندما تدخل إلى الصف وتذكر الطالب إسمه و'سم أبوه فلان وفلان أحمد محمد كذا لكن لا تذكر اسم أمه أو أخته.

والعرب تحاول أن تستر حتى أعلام الإناث لا تذكرها بينما تذكر الذكور. حتى عندما تسأل أحدهم تقول له كيف أحمد؟ كيف فلان؟ لكن لماً تسأله كيف ليلى؟ لا يقبلها، تسأله عن أبيه لكن لماً تسأله عن اسم أمه يغضب. إذن العرب تذكر الذكور ولا تكاد تذكر الإناث لذلك عرّف الذكور ولم يعرف الإناث حتى المرأة في الغرب تُنسب لزوجها ولا تُنسب لأمها.

س: لماذا كان العربي في عداء مع الأنثى؟

ج: لقد مقت العربي قبل الإسلام الأنثى لأنها لا تقاتل الأعداء، ولا تشن الغارات، ولا تمتطي الجياد، ولا تكسب المال، وقد تجر العار وتجلب الهوان.

فأدى ذلك إلى بغض بغيض، فداس الرجل على مشاعر الأبوة وحمل وليدته بين يديه ودفنها حية تتنفس ثم يعود إلى أهله وقد دفن العار كما توهم.

ولقد جاء القرآن مستنكرًا ومستغربًا ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ [التكوير].

س: كيف كان حال الأنثى بعد الإسلام؟

ج: لقد كرم الإسلام الأنثى [المرأة] ورفع قدرها فهي الأم والزوجة والأخت والبنت. وعندما جاء الإسلام حرم قتل الأنثى وشن من الأحكام ما يضمن حقوقها ويحفظ حياتها ويرفع شأنها، وحث الرجال على حمايتها ورعايتها وضع الأجر العظيم والثواب الجزيل لمن رزق بناتًا فرباهن وأحسن تربيتهن وكن بابًا من أبواب دخول الجنة والمغفرة له.

ـ وكانت حكمة الله في بقاء الإناث لرسول الله ﷺ دون الذكور كأنه نوع من أنواع التكريم لتلك الأنثى التي كانت بالأمس تنتقل من رحم الأم إلى حفرة القبر دون اعتبار لإنسانيتها وكرامتها، وكان هذا أول إكرام للمرأة في خير بيت ـ بيت النبوة ـ فمنح رسول الله ﷺ بناته من حبه وعطفه ما لا يمكن وصفه.

س: ماذا قال رسولنا الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ في فضل رعاية البنات؟

ج:

١ـ رعاية البنات حجاب من النار:

كما جاء في الحديث المتفق على صحته من حديث أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها: «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترًا من النار)».

٢ـ رعاية البنات تكون سببًا في الحشر مع الرسول يوم القيامة:

فعن أنس ـ رضي الله عنه قال ـ قال رسول الله ﷺ :

«من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين وضم أصابعه».
[رواه مسلم].

٣ـ رعاية البنات تكون سببًا في دخول الجنة:

فعن جابر قال رسول الله ﷺ: «من كان له ثلاث بنات يؤويهن ويكفيهن ويرحمهن فقد وجبت له الجنة البتة، فقال رجل: وثنتين يا رسول الله، قال: وثنتين».
[أحمد والبخاري في الأدب المفرد].






الفصل الثاني

الهبة في السنة النبوية الشريفة






مما سبق نستنتج أنّ:

معنى الهبة: هي تمليك الإنسان ماله أو بعضه غيره بلا عِوض، وبذلك فهي تشمل:

١-الإبراء: وهو هبة الدين ممن هو عليه.

٢-الصدقة: وهي هبة ما يراد به ثواب الآخرة.

٣-الهدية: وهي ما يكرم به الموهوب له.

ويدل على هذا المعنى ما سيمر معنا إن شاء الله تعالى من أحاديث في أحكام الهبة. ونتناول الأحكام التالية:

(١) التهادي.

(٢) قبول الهبة.

(٣) المكافأة على الهبة .

(٤) الرجوع في الهبة .

(٥) التسوية بين الأول في النحل[العطية أو الهبة] .

(٦) الإهداء للكفار وقبول هداياهم

(٧) هدايا الأمراء.

(٨) العُمْرَى.

(٩) الرُّقبى.

(١٠) الأقربون أولى بالهبة.

(١١) الهدية التي لا ترد.

(١٢) الاستيهاب.

(١٣) هبة المرأة من مال زوجها.

وسوف ندرس كل منها على حدة، وبالأحاديث النبوية الشريفة لنتعرّف على الأحكام المستنبطة منها.



أحكام الهبة في السنة النبوية الشريفة

■ يستحب للمسلم أن يهب غيره بعضًا من ماله :

الأحاديث النبوية الشريفة الدالة على ذلك:

الحديث الأول: عن أبي هريرة رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «تهادوا تحابوا»[1].

كيفية الاستنباط: في هذا الحديث أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ المسلمين بفعل الأمر[تهادوا] بالتهادي - والتهادي نوع من الهبة كما قلنا - وهذا الأمر مفيد للاستحباب لا للوجوب وصارفه من إفادة الوجوب إلى إفادة الاستحباب أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ لم يُهد جميع المسلمين في وقته ولم يُهده جميع المسلمين وكذلك لم يهد كل مسلم غيره من المسلمين والله تعالى أعلم وأحكم.

الحديث الثاني: عن أبي هريرة رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قال : «يا نساء المسلمات لا تحقرنَّ جارةٌ لجارتها ولو فِرْسن شاة[2]»[3].

كيفية الإستنباط: في هذا الحديث نهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ النساء

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد ص١٧٤ والبيهقي في السنن الكبرى ج٦ ص١٦٩ وحسنه والنسائي وأبو يعلى رقم٦١٤٨ وقال ابن عبد البر: هذا متصل من وجوه حسان كلها. والهيثمي في مجمع الزوائد ج٤ ص١٤٦ ومالك ج٢ ص٩٠٨ وابن عبد البر في التمهيد ج٦ ص١١٦ والمنذري في الترغيب ج٣ ص٤٣٤ وحسن إسناده الحافظ بن حجر في التلخيص ج٣ ص١٥٢.

(٢) فرسن الشاة: عظم قليل اللحم.

(٣) رواه البخاري(فتح) ج٥ ص١٩٧ ومسلم رقم٧١٣ وأحمد ج٢ ص٤٦٤ ومالك ج٢ ص٩٣١ والبيهقي في السنن الكبرى ج٤ ص١٧٧ والبغوي في شرح السنة ج٦ ص١٤١.

المسلمات بالفعل المضارع[تحقرن] المسبوق بلا الناهية أن تحقر إحداهن ما تهبه جارتها ولو كان فرسن شاة وهذا النهي مفيد للكراهة لا للتحريم وذلك لأن الصدقة في أصلها مستحبة وليست واجبة والمكروه يستحب تركه والعمل بخلافه أي تستحب الهبة ولو بالشيء اليسير والله تعالى أعلم وأحكم.

الحديث الثالث: عن ابن كعب بن مالك أن جابر بن عبد الله رَضِيَ اَللهُ عَنْهُما أخبره «أن أباه قُتل يوم أحد شهيدًا فاشتدَّ الغرماء في حقوقهم، فأتيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فكلمته، فسألهم أن يقبلوا ثمر حائطي ويحللوا أبي فأبوا، فلم يعطهم ولم يُكره عليهم، ولكن قال: سأغدوا عليك إن شاء الله، فغدا علينا حين أصبح فطاف في النخل فدعا في ثمره بالبركة، فجددناها فقضيتهم حقوقهم وبقي لنا من ثمرها بقية، ثم جئت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ وهو جالسٌ فأخبرته بذلك فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ لعمر: اسمع-وهو جالس-يا عمر. فقال: ألا يكون قد علمنا أنك رسول الله؟ والله إنك لرسول الله»[1]

كيفية الاستنباط: في هذا الحديث سأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ الدَّائنين أن يضعوا بعض دينهم وهذا السؤال كان سؤال استشفاع ولم يكن أمرًا بدليل أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ لم ينكر عليهم إباءهم ورفضهم، ولا يسأل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أحدًا شيئًا إلا إذا كان هذا الشيء واجبًا أو مستحبًا وقد ثبت عدم الوجوب فالحكم إذن الاستحباب والله تعالى أعلم وأحكم.

■ يستحب قبول الموهوب له الهبة من غيره حتى وإن كانت الهبة يسيرة ويكره ردُّها

الحديث الأول: «عن عائشة رَضِيَ اَللهُ عَنْها قالت: «كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يقبل الهدية ويثيب عليها»[2].

(١) رواه البخاري(فتح) ج٥ص٢٢٢.

(٢) رواه البخاري(فتح) ج٥ص٢١٠ والترمذي ج٤ص٣٣٨ وأبو داود وأحمد ج٦ص٩٠.

الحديث الثاني: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قال : «لو دعيت إلى ذراع أو كُراع لأجبت ولو أهدي إليَّ ذراع أو كراع لقبلت»[1].

الحديث الثالث:عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : «أَنْفَجْنا أرنبًا بمرِّ الظهران فسعى القوم فلغبوا[2] فأدركتها فأخذتها، فأتيت بها أبا طلحة فذبحها وبعث إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ بوركِها-أو فخذيها قال: فخذيها لا شك فيه-فقبله. قلت: وأكل منه؟ قال: وأكل منه. ثم قال بعد: قبله»[3].

الحديث الرابع:عن الصَّعب بن جثَّامة«أنه أهدى لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ حمارًا وحشيًّا-وهو بالأبواء أو بودَّان-فردَّ عليه، فلما رأى ما في وجهه قال: أما إنا لم نردَّه عليك إلا أنَّا حُرُم»[4].

الحديث الخامس:عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا«أن الناس كانوا يتحرَّون بهداياهم يوم عائشة يبتغون بها-أو يبتغون بذلك-مرضاة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[5].

الحديث السادس:عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال :«أهدت أم حُفَيْد-خالة ابن عباس-إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أقِطًا وسمنًا وأضُبًّا، فأكل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ من الأقِط والسمن وترك الأضبَّة تعذُّرًا، قال ابن عباس فأُكل على مائدة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ولو كان حرامًا ما أُكل على مائدة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[6].

الحديث السابع:عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : « كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

(١) رواه البخاري(فتح) ج٥ص١٩٩ والترمذي عن أنس بلفظ آخر ج٣ص٦١٤ وقال: حسن صحيح.
(٢) لغبوا: تعبوا.
(٣) رواه البخاري(فتح) ج٥ص٢٠٢.
(٤) رواه البخاري(فتح) ج٥ص٢٠٢ والنسائي ج٥ص١٨٤.
(٥) رواه البخاري(فتح) ج٥ص٢٠٣.
(٦) رواه البخاري(فتح) ج٥ص٢٠٣.

وآله وَسَلَّمَ إذا أُتي بطعام سأل عنه أهدية أم صدقة؟ فإن قيل صدقة قال لأصحابه: كلوا ولم يأكل، وإن كان هدية، ضرب بيده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فأكل معهم»[1].

الحديث الثامن: عن عائشة رَضِيَ اَللهُ عَنْها أنها قالت لعروة : «ابنَ أختي إنا كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلّة في شهرين وما أوقدت في أبيات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ نار، فقلت: يا خالة ما كان يُعِيْشُكُم؟ قالت: الأسودان التمر والماء إلا أنه قد كان لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ جيران من الأنصار كانت لهم منائح وكانوا يمنحون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ من ألبانها فيسقينا»[2].

كيفية الاستنباط: في هذه الأحاديث إخبار أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ كان يقبل الهدية وهي هبة، وهذا الفعل ليس جبليًا ولا خاصًا بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ولم يثبت وجوبه بأي صيغة من صيغ إثبات الواجب فهو إذن مستحب والله تعالى أعلم وأحكم.

الحديث التاسع: عن ابن مسعود رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لا تردُّوا الهدية ولا تضربوا المسلمين»[3].

كيفية الاستنباط: في هذا الحديث نهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ بالفعل المضارع[تردوا] المسبوق بلا الناهية عن ردِّ الهدية، وهذا النهي مفيد للكراهة لا للتحريم وصارفه من إفادة التحريم إلى إفادة الكراهة ماروي عن عائشة رَضِيَ اَللهُ عَنْها قالت : «أهدت أم سنبلة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ لبنًا فلم تجده، فقلت لها: إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قد نهانا أن نأكل من طعام الأعراب فدخل رسول الله صَلَّى

---

(١) رواه البخاري(فتح) ج٥ص٢٠٢.

(٢) رواه البخاري(فتح) ج٥ص١٩٧ ومسلم وأحمد ج٢ص٤٠٥.

(٣) رواه أحمد ج١ص٤٠٤ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٤ص١٤٦: رواه أحمد وأبو يعلى ورجال أحمد رجال الصحيح.

اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ وأبو بكر معه فقال: ما هذا معك يا أم سنبلة؟ قالت: لبن أهديته لك يا رسول الله. قال: اسكُبي أم سنبلة، فسكبت فقال: ناولي أبا بكر، ففعلت. فقال: اسكبي أم سنبلة فسكبت، فناولي عائشة فناولتها فشربت فقال: اسكبي أم سنبلة فسكبت فناولته رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فشرب، فقالت عائشة ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يشرب من لبن أسلم وأبردها على الكبد يا رسول الله قد كنت حُدِّثت أنك نَهيت عن طعام الأعراب. فقال: يا عائشة هم ليسوا بأعراب هم أهل باديتنا ونحن حاضرتهم وإذا دعوا أجابوا فليسوا بأعراب»[1]، وماروي عن ابن عباس رَضِيَ اَللهُ عَنْهُمَا: «أن أعرابيًّا وهب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ هبة فأثابه عليها، قال: رضيت؟ قال: لا. قال: فزاده، قال: رضيت؟ قال: لا. قال: فزاده، قال: رضيت؟ قال: نعم. قال: فقال رسول الله ﷺ: لقد هممت أن لا أتَّهِبَ هبة إلا من قرشي أو أنصاري أو ثقفي»[2]، ووجه الدلالة في هذين الحديثين أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ نهى عن قبول هدية الأعراب في الأول منهما وهمَّ بعدم قبولها في الثاني ولو كان قبول الهدية واجبًا لما كان ذلك من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ والله تعالى أعلم وأحكم.

الحديث العاشر: عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ يقول: «كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يعطيني العطاء فأقول أعطِهِ من هو أفقر مني. فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خذ ما آتاك الله من هذا المال وأنت غير مُشرف ولا سائل

---

(١) رواه أحمد وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٤ص١٤٩: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) رواه أحمد ج١ص٢٩٥ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٤ص١٤٨: رواه أحمد والبزار وقال: إن أعرابيًّا أهدى بدل وهب، والطبراني في الكبير وقال: وهب ناقة فأثابه عليها، وقال: رجال أحمد رجال الصحيح ورواه ابن حبان وأبوداود والنسائي من حديث أبي هريرة بنحوه وقوّاه الترمذي ورواه من وجه آخر وبين أن الثواب كان ست بكرات وقد رواه الحاكم وصححه على شرط مسلم. انظر نيل الأوطارج٦ص٥.

فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك»[1].

الحديث الحادي عشر: عن سعيد بن خالد بن عدي الجهني قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يقول: «من بلغه معروف من أخيه من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله ولا يردُّه فإنما هو رزق ساقه الله عَزَّ وَجَلَّ»[2].

كيفية الاستنباط: في هذين الحديثين أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ من وُهب هبة أن يقبلها وهذا الأمر مفيد للاستحباب لا للوجوب وصارفه من إفادة الوجوب إلى إفادة الاستحباب حديثا عائشة وابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُم المذكوران في كيفية استنباط الحكم من الدليل السابق والله تعالى أعلم وأحكم.

■ يجب أن يكافئ الموهوب له الواهب على هبته أي يعطيه بدلها ما يساويها أو أكثر منها. فإن لم يستطع فيجب عليه أن يدعو له حتى يظن أنه قد كافاه

الحديث الأول: عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قال: قال رسول الله ﷺ: «من سألكم بالله فأعطوه ومن دعاكم فأجيبوه، ومن أهدى لكم فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له»[3]، وفي رواية: «من أتى إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تعلموا أنكم كافأتموه».

الحديث الثاني: عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قال:

---

(١) رواه البخاري(فتح) ج٣ص٣٣٧ومسلم والنسائي ج٥ص١٠٥وأحمد ج١ص١٧، ٢١والدارمي ج١ص٤٧٥.

(٢) رواه أحمد والحاكم ج٢ص٦٢ وصححه ووافقه الذهبي وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٣ص١٠٠-١٠١: رجال أحمد رجال الصحيح.

(٣) رواه أحمد ج٢ص٩٦، ٨٦ وأبو داود وقال المندري وأخرجه نسس، والحاكم ج١ص٤١٢-٤١٣ وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي وقال النووي في رياضه: حديث صحيح وصححه السيوطي في الجامع الصغير ونسبه لابن حبان.

«من أعطي عطاءً فوجد فليَجز به ومن لم يجد فليُثنِ فإن من أثنى فقد شكر ومن كتم فقد كفر ومن تحلَّى بما لم يعطِ كان كلابس ثوبي زور»(١).

كيفية الاستنباط: في هذين الحديثين أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ من صُنع له معروف أو أُعطي عَطاءً أو أهدي هدية أن يكافئ واهبه أو صانع المعروف له إن وجد ما يكافئه به وهذا أمر مطلق مفيد للوجوب، وكذلك أمر غير المستطيع بالدعاء له حتى يعلم أنه قد كافأه وهذا أمر مطلق أيضًا مفيد للوجوب، وقد أكد ذلك بقوله في حديث جابر[ومن كتم فقد كفر...] وهذا بيان لاستحقاق تارك هذا الفعل العقاب ولا يستحق المسلم العقاب على فعل يتركه إلا إذا كان هذا الفعل واجبًا والله تعالى أعلم وأحكم.

الحديث الثالث:عن أبي هريرة رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»(٢).

كيفية الاستنباط: في هذا الحديث إخبار أن شكر الناس من شكر الله وشكر الله واجب إذن فشكر الناس على معروفهم واجب والله تعالى أعلم وأحكم.

الحديث الرابع:عن أسامة بن زيد رَضِيَ اَللهُ عَنْهُما قال: قال رسول الله ﷺ: «من صُنع إليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرًا فقد أبلغ في الثناء»(٣).

الحديث الخامس:عن أنس رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ قال: «لمَّا قدم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ المدينة أتاه المهاجرون فقالوا: يا رسول الله ما رأينا قومًا أبذل من كثير ولا أحسن مواساة من قليل من قوم نزلنا بين أظهرهم لقد كفونا المُؤْنَة وأشركونا في المَهْنأ حتى لقد خِفْنَا أن يذهبوا

---

(١) رواه الترمذي ج٤ص٣٧٩ وقال: حسن غريب.

(٢) رواه الترمذي ج٤ص٣٣٩ رقم١٩٥٤، ١٩٥٥ وقال: حسن صحيح وأحمد ج٢ص٢٥٨ والطبراني في الكبير ج٢ص٤٠٨ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٥ص٢١٧.

(٣) رواه الترمذي ج٤ص٣٨٠ رقم٢٠٣٥ وقال: حسن جيد غريب لا نعرفه من حديث أسامة بن زيد إلا من هذا الوجه.

بالأجر كله فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم»[1].

كيفية الاستنباط: في هذين الحديثين إخبار باستحقاق شاكر من فعل إليه معروفًا بالدعاء له والثناء عليه الثواب ولا يستحق المسلم الثواب على فعل يفعله إلا إذا كان هذا الفعل واجبًا أو مستحبًّا وقد بينا وجوب شكر الواهب أو صانع المعروف بالدعاء له إذا لم يجد ما يكافئه به إذن فهذا الفعل واجب والله تعالى أعلم وأحكم، وقد كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أعظم الناس التزامًا بهذا الواجب يدل على ذلك ما روي عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْها قالت: «كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يقبل الهدية ويثيب عليها»[2]، وماروي عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُما: «أن أعرابيًّا وهب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ هبة فأثابه عليها، قال: رضيت؟ قال: لا. قال: فزاده، قال: رضيت؟ قال: لا. قال: فزاده، قال: رضيت؟ قال: نعم. قال: فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لقد هممت أن لا أتَّهِبَ هبة إلا من قرشي أو أنصاري أو ثقفي»[3].

■ يحرم على الواهب أن يرجع في هبته إلا الوالد لولده:

الحديث الأول: عن طاوس أن ابن عمر وابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُم رفعاه إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قال: «لا يحل للرجل أن يعطي العطية فيرجع فيها إلا

---

(1) رواه الترمذي ج٤ ص٦٥٣ وقال: صحيح حسن غريب من هذا الوجه، وأبو داود وأحمد ج٣ ص٢٠٠ والحاكم ج٢ ص٦٣ وصححه ووافقه الذهبي.

(2) رواه البخاري(فتح) ج٥ ص٢١٠ والترمذي ج٤ ص٣٣٨ وأبو داود وأحمد ج٦ ص٩٠.

(3) رواه أحمد ج١ ص٢٩٥ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٤ ص١٤٨: رواه أحمد والبزار وقال: إن أعرابيًّا أهدى بدل وهب، والطبراني في الكبير وقال: وهب ناقة فأثابه عليها، وقال: رجال أحمد رجال الصحيح ورواه ابن حبان وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة بنحوه وقوَّاه الترمذي ورواه من وجه آخر وبين أن الثواب كان ست بقرات وقد رواه الحاكم وصححه على شرط مسلم. انظر نيل الأوطار ج٦ ص٥.

الوالد فيما يعطي ولده، ومَثل الرجل يعطي العطية ثم يرجع فيها كمثل الكلب أكل حتى إذا شبع قاء ثم رجع في قيئه »[1].

كيفية الاستنباط:

ـ صيغة لا يحل من صيغ إثبات الحرام، وفي هذا الحديث إخبار بعدم حل أي بحرمة رجوع الرجل في عطيته وقد خصص هذا العام بغير الوالد الذي يعطي ولده عطيته فيحل له الرجوع فيها ومخصصه الاستثناء في الحديث[إلا الوالد فيما يعطي ولده].

ـ شبه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ في هذا الحديث الذي يرجع في هبته بالكلب الذي يرجع في قيئه وهذا نوع من التوبيخ والعقاب ولا يستحق المسلم العقاب على فعل يفعله إلا إذا كان هذا الفعل محرمًا فدل ذلك على حرمة رجوع غير الوالد لولده في هبته والله تعالى أعلم وأحكم.

الحديث الثاني: عن ابن عباس رَضِيَ اَللهُ عَنْهُما قال: قال النبي ﷺ: «العائد في هبته كالعائد في قيئه»[2].

كيفية الاستنباط: مثل الشطر الثاني من كيفية استنباط الحكم من الدليل السابق والله تعالى أعلم وأحكم.

■ يجب على الوالد أن يسوي بين أولاده سواء كانوا ذكورًا أو إناثًا أو ذكورًا وإناثًا في الهبة أي العطية التي يعطيهم إياها فلا يعطي أحدًا ويحرم غيره وكذلك لا

---

(١) رواه أحمد ج١ ص٢٣٧ والترمذي ج٤ ص٤٤٣ وقال: حسن صحيح وأبو داود والنسائي ج٦ ص٢٦٤-٢٦٥ وابن ماجة ج٢ ص٧٩٥ وابن حبان والحاكم وصححاه.

(٢) رواه البخاري(فتح) ج٥ ص٢٣٥ ومسلم(شرح النووي) ج١١ ص٦٤ والترمذي ج٤ ص٤٤٣ وأبو داود والنسائي وأحمد بزيادة(وليس لنا مثل السوء) ج١ ص٢١٧.

يعطي أحداً أكثر من غيره وإذا وهب واحداً منهم ولم يهب غيره وجب عليه الرجوع في هبته

الحديث الأول:عن البشير بن النعمان قال"أعطاني أبي عطية فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله. قال: أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟ قال: لا. قال:

فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم. قال: فرجع فرد عطيته»[1]، وفي رواية قال : «أن أباه أتى به إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فقال: إني نحلت ابني هذا غلامًا فقال: أَكُلَّ ولدك نحلت؟ قال: لا. قال: فارجعه»، وفي رواية : «فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يا بشير ألك ولد سوى هذا. قال نعم. فقال: أكلُّهم وهبت له مثل هذا؟ قال: لا. قال: فلا تشهدني إذًا فإني لا أشهد على جور».

كيفية الاستنباط:

- أمر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ في هذا الحديث بفعل الأمر[اعدلوا] بالعدل بين الأولاد في العطية وهذا أمر مطلق مفيد للوجوب، والأولاد لفظ عام يشمل الذكور والإناث الصغار والكبار.

-أمر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ في هذا الحديث بفعل الأمر[فارجعه] الوالد بالرجوع في هبته لأحد أبنائه دون الآخرين وهذا أمر مطلق مفيد للوجوب.

- سمى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ في هذا الحديث هبة الوالد أحد أبنائه دون

(١) رواه البخاري(فتح) ج٥ص٢١١ ومسلم(شرح النووي) ج١١ص٦٥-٦٨ وأحمد ج٤ص٢٦٩ ومالك ج٢ص٧٥١-٧٥٢ والبغوي في شرح السنة ج٨ص٢٩٦.

الآخرين جورًا ولم يقبل أن يشهد عليه والظلم معلوم أنه حرام والله تعالى أعلم وأحكم.

■ يباح إهداء الكفار غير المحاربين ما يحل إهداؤه للمسلمين وكذلك يباح قبول هداياهم اللاتي يحل قبولها من المسلمين

الأدلة: ١-قول الله تبارك وتعالى﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الممتحنة٨].

كيفية الاستنباط: في هذه الآية إخبار بعدم نهي الله عن بر غير المحاربين من الكفار والفعل الذي لم ينه عنه الله أي لم يحرمه هو الحلال والحلال الذي لم يثبت وجوبه أو استحبابه أو كراهته هو المباح وهذا الفعل لم يثبت له أي حكم من هذه الأحكام فهو إذن مباح، والإهداء للكفار غير المحاربين وكذلك قبول هداياهم نوع من البر يؤكد ذلك ما ورد في سبب نزول هذه الآية فعن عبد الله بن الزبير قال «قدمت قتيلة ابنة عبد العُزَّى بن عبدِ أسعد من بني مالك بن حسل على ابنتها أسماء ابنة أبي بكر بهدايا ضباب وأقط وسمن وهي مشركة فأبت أسماء أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها فسألت عائشة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ إلى آخر الآية. فأمرها أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها»(١).

الحديث الأول: عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «رأى عمر حلة على رجل تباع، فقال للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ابتع هذه الحلة تلبسها يوم الجمعة وإذا جاء الوفد، فقال: إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة، فأُتِي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ منها بحلل، فأرسل إلى عمر منها بحلة فقال عمر: كيف ألبسها وقد قلت فيها ما قلت؟ قال: إني لم أكسُكَها لتلبسها، تبيعها أو تكسوها، فأرسل بها

(١) رواه البخاري(فتح) ج٥ص٢٣٣ ومسلم وأحمد واللفظ له ج٤ص٤.

عمر إلى أخ له من أهل مكة قبل أن يسلم»[1].

كيفية الاستنباط: في هذا الحديث إخبار بإهداء عمر أخاه المشرك وعلم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ وعدم إنكاره عليه والفعل الذي يقره الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ولم يثبت وجوبه أو استحبابه هو المباح والله تعالى أعلم وأحكم.

الحديث الثاني: عن بلال بن رباح ﷺ في حديث طويل جاء فيه : «... فانطلقت حتى أتيته - يعني النبي ﷺ - فإذا أربع ركائب مُناخات عليهن أحمالهن، فاستأذنت، فقال لي رسول الله ﷺ : أبشر فقد جاءك الله تعالى بقضائك، ثم قال: ألم تر الركائب المُناخات الأربع؟ فقلت: بلى. فقال: إن لك رقابهن وما عليهن فإن عليهن كسوةً وطعامًا أهداهن إليَّ عظيم فدك فاقبضهنَّ واقضِ دينك. فقلت: فذكر الحديث...»[2].

الحديث الثالث: عن علي رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ : «أن أُكيدر دومة أهدى إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ثوب حرير فأعطاه عليًّا، فقال: شققه خُمُرًا بين الفواطم، وقال أبو بكر وأبو كريب: بين النسوة »[3].

الحديث الرابع: عن أنس رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ قال : أهدي للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ جبة سندس وكان ينهى عن الحرير فعجب الناس منها، فقال: والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا» [4].

الحديث الخامس: عن أنس ﷺ أيضًا: «أن يهودية أتت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ

---

(١) رواه مسلم(شرح النووي) ج١٤ ص٣٨ والبخري(فتح) ج٥ص٢٣٢-٢٣٣.

(٢) رواه أبو داود وسكت عنه هو والمنذري في الترغيب ج٨ص٣٠٧-٣٠٩ وقال الشوكاني في نيل الأوطار ج٦ص٢: رجال إسناده ثقات.

(٣) رواه مسلم(شرح النووي) ج٤ص٤٩-٥٠ والبخاري تعليقًا عن أنس(فتح) ج٥ص٢٣٠.

(٤) رواه البخاري(فتح) ج٥ص٢٣٠ ومسلم وأحمد ج٣ص٢٠٧، ١١١ والترمذي ج٥ص٦٧٩ وقال: حسن صحيح، والنسائي ج٨ص١٩٥ وابن ماجة ج١ص٥٦.

بشاة مسمومة فأكل منها فقيل: ألا نقتلها فما زلت أعرفه في لهوات رسول الله ﷺ»[1].

الحديث السادس: عن أبي بكر رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ قال: «كنا مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ثلاثين ومائة، فقال النبي ﷺ: هل مع أحدكم طعام؟ فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه فعُجِن ثم جاء رجل مشرك مُشْعَانٌّ طويل بغنم يسوقها، فقال النبي ﷺ: بيعًا أم عطية؟ أو قال: أم هبة؟ قال: لا بل بيع فاشترى منه شاة فصُنعت وأمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ بسواد البطن أن يشوى وايمُ الله ما في الثلاثين والمائة إلا وقد حزَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ له حُزَّةً من سواد بطنها إن كان شاهدًا أعطاها إياه وإن كان غائبًا خبَّأ له، فجعل منها قصعتين فأكلوا أجمعون وشبعنا، ففضلت القصعتان فحملناه على البعير أو كما قال»[2].

الحديث السابع: أبي حميد الساعدي رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ قال: «وأهدى ملك أيلة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ بغلة بيضاء وكساه بردًا وكتب له ببحرهم»[3].

الحديث الثامن: عن بريدة رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ قال: «أهدى المقوقس القبطي لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ جاريتين إحداهما أم إبراهيم بن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ والأخرى وهبها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ لحسان بن ثابت وهي أم عبد الرحمن بن حسان وأهدى له بغلة فقبل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ذلك»[4].

الحديث التاسع: عن عائشة رَضِيَ اَللهُ عَنْها قالت: «أهدى المقوقس صاحب الإسكندرية إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ مِكحلة عيدان شامية ومرآة

---

(١) رواه البخاري(فتح) ج٥ص٢٣٠.

(٢) رواه البخاري(فتح) ج٥ص٢٣٠.

(٣) رواه البخاري(فتح) ج٣ص٣٤٤ ومسلم وأبو داود وأحمد والدارمي ج٢ص٣٠٥.

(٤) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٤ص٥٢: رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجال البزار رجال الصحيح.

ومشطًا»[1].

كيفية الاستنباط: في هذه الأحاديث إخبار بقبول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ هدايا المشركين ولو لم يكن هذا الفعل مباحًا لما فعله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ والله تعالى أعلم وأحكم، ولا تعارض بين هذا الحكم وبين ما يدل عليه ماروي عن عياض بن حمار قال: «أهديت إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ناقةً فقال: أسلمت؟ قلت: لا. فقال النبي ﷺ: إني نُهيت عن زَبْدِ المشركين-أي عطاؤهم-»[2] وذلك لإمكان حمل حديث عياض على هدايا المشركين المحاربين وحمل الأحاديث الأخرى على هدايا المشركين غير المحاربين والله تعالى أعلم وأحكم.

■ يحرم على الأمراء والعمال أي موظفي الدولة أخذ الهدايا من أيٍّ كان إلا بحق كأن يكون العامل يتهادى هو وآخر قبل توليته أمرًا من أمور المسلمين، وأخذها بغير حق يعتبر غلولاً

الحديث الأول: عن أبي حميد الساعدي رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ قال: «استعمل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ رجلاً من الأسْدِ يقال له ابن اللُّتَبِيَّة قال عمرو وابن أبي عمر: على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا لي أهدي لي، قال: فقام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: ما بال عامل أبعثه فيقول هذا لكم وهذا أُهدي لي أفلا قعد في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظر أيُهدى إليه أم لا، والذي نفس محمد بيده لا ينال أحد منكم منها شيئًا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه بعير له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تعير ثم رفع يديه حتى رأينا عُفْرتي[3] إبطيه ثم قال: «اللَّهُمَّ هل بلَّغت مرَّتين»[4]، وفي رواية قال رسول الله صَلَّى

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٤ص١٥٢: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

(٢) رواه أبو داود(عون) ج٨ص٣٠٩-٣١٠ والترمذي وقال: حسن صحيح.

(٣) عفرتي إبطيه: بياض إبطيه.

(٤) رواه مسلم(شرح النووي) ج١٢ص٢١٨-٢٢٠.

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أما بعد: فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاَّني الله فيأتي فيقول هذا لكم وهذا هدية أهديت لي أفلا يجلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقًا والله لا يأخذ أحد منكم منها شيئًا بغير حقه إلا لقي الله تعالى يحمله يوم القيامة فلأعرفنَّ أحدًا منكم لقي الله يحمل بعيرًا له رُغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تَيْعَر ثم رفع يديه حتى رُئي بياض إبطيه ثم قال: اللَّهُمَّ هل بلَّغت بَصُرَ عيني وسمع أذني».

كيفية الاستنباط:

- الاستفهام في الحديث[ما بال عامل..]، و[أفلا قعد..]، و[أفلا يجلس..] هو استفهام إنكاري ينكر فيه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ على العامل الذي يأخذ الهدية من غيره بغير حق، والفعل الذي ينكره الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ هو المحرم والله تعالى أعلم وأحكم.

- في الحديث إخبار باستحقاق العامل الذي يقبل الهدية بغير حق العذاب يوم القيامة ولا يستحق المسلم العذاب على فعل يفعله إلا إذا كان هذا الفعل محرمًا والله تعالى أعلم وأحكم.

وقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ [أفلا يجس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته] يدل على أن الهدية للعامل التي تكون بحق هي التي تأتيه قبل استعماله واستمرت بعد استعماله والله تعالى أعلم وأحكم.

الحديث الثاني:عن عدي بن عميرة الكندي قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يقول : « من استعملناه منكم على عمل فَكَتَمَنَا مِخيطًا فما فوقه كان غلولاً يأتي به يوم القيامة. قال: فقام إليه رجل أسود من الأنصار كأني أنظر إليه فقال:

يا رسول الله اقبل عني عملك. قال: ومالك؟ قال: سمعتك تقول كذا وكذا. قال: وأنا أقول الآن من استعملناه منكم على عمل فليجئ بقليله وكثيره فما أوتي منه

أخذ وما نُهي عنه انتهى»[1].

كيفية الاستنباط:

- في هذا الحديث إخبر بأن ما يكتمه العامل مما يُؤتاه غلول والغلول حرام، وما يؤتاه العامل يشمل الهدية وغيرها وقد نصَّ في حديث أبي حميد على الهدايا خاصّة والله تعالى أعلم وأحكم.

- في هذا الحديث أمر رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ العامل بالفعل المضارع [يجيء] المسبوق بلام الأمر بأداء كل ما يؤتاه لبيت المال من هدية وغيرها قليله وكثيره، وهذا أمر مطلق مفيد للوجوب، ومخالفة الواجب حرام والله تعالى أعلم وأحكم.

العُمْرَى:

معنى العمرى:

العمرى مأخوذة من العمر وهي شرعًا أن يقول المسلم لآخر أعمرتك هذه الدار أو الحائط أو الأرض أو جعلتها لك عمرك، ويسمى القائل مُعْمِرًا والمقول له مُعْمَرًا، وإذا قال المُعْمِر للمُعْمَر ذلك سواء أطلقه أو قيَّده بحياته أو اشترط الاسترداد بعد موته أو قال هي لك ولبنيك من بعدك فهي للمُعْمَرِ ولورثته من بعده ولا يستردُّها المُعْمِر بالمرة.

■ العمرى مباحة:

الحديث الأول: عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اَللهُ عَنْهُما أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قال: «أيُّما رجل أعمر عمرى له ولعقبه فإنَّها للذي أُعطيَها لا ترجع إلى

(١) رواه مسلم(شرح النووي) ج١٢ص٢٢٢ وأبو داود(عون) ج٨ص١٦٢-١٦٤ وأحمد ج٤ص١٩٢ والبيهقي في السنن الكبرى ج٤ص١٥٨ وابن أبي شيبة ج٦ص٥٤٨ والمنذري ج١ص٥٦٣ وابن خزيمة رقم٢٣٣٨.

الذي أَعطاها لأنه أعطى عطاءً وقعت فيه المواريث»[1]،وفي رواية : «من أعمر رجلاً عُمرى له ولعقبه فقد قطع قولُه حقَّه فيها وهي لمن أُعْمِرَ ولعقبه».

كيفية الاستنباط: في هذا الحديث إخبار بأن العمرى حق للمُعْمَر وقد قُطِع حق المُعْمِر فيها وهذا دليل إباحتها وعدم جواز رجوع المُعْمِر فيها، والعمرى هنا مقيدة بالتي تكون للرجل وعقبه والله تعالى أعلم وأحكم.

الحديث الثاني:عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُما أيضًا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «العمرى لمن وُهبت له»[2].

كيفية الاستنباط: في هذا الحديث إخبار أن العمرى لمن وهبت له وهذا دليل إباحة العمرى، وأنها حق للمُعْمَر يرثها من بعده عقبه، وهنا أطلق العمرى ولم يقيِّدها بالتي للمُعْمَر ولعقبه، ولا يحمل هذا المقيد على المقيد في الحديث السابق لأن المقيد موافق للمطلق في الحكم والله تعالى أعلم وأحكم.

ومثل هذا الحديث ماروي عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «أمسكوا عليكم أموالكم ولا تفسدوها فإنه من أعمر عمرى فهي للذي أعمرها حيًّا وميِّتًا ولعقبه»[3].

وما روي عنه أيضًا : «أعمرت امرأة بالمدينة حائطًا لها ابنًا لها ثم توفي وتوفِّيت

---

(١)رواه مسلم(شرح النووي) ج١١ص٦٩-٧١ وأبو داود رقم٣٥٥٣ والترمذي رقم١٣٥٠ والنسائي وابن ماجة وأحمد ج٣ص٣٩٩ والبيهقي في السنن الكبرى ج٦ص١٧٢ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٤ص١٥٦، والبغوي في شرح السنة ج٨ص ٢٩١ وابن عبد البر في التمهيد ج٧ص١١٢ ومالك ج٢ص٧٥٦.

(٢)رواه مسلم(شرح النووي) ج١١ص٧١ والبخاري(فتح) ج٥ص٢٣٨ ومالك ج٢ص٧٥٦ والبغوي في شرح السنة ج٨ص٢٩١.

(٣) رواه مسلم(شرح النووي) ج١١ص٧٢ وأحمد ج٣ص٢٩٣ والنسائي ج٦ص٢٧٤ والبغوي في شرح السنة ج٨ص٢٩٣ والطحاوي في شرح معاني الآثار ج٤ص٩٢.

بعده وتركت ولدًا وله إخوة بنون للمُعمِرَةِ فقال ولد المعمِرة رجع الحائط إلينا، وقال بنو المعمَر بل كان لأبينا حياته وموته فاختصموا إلى طارق مولى عثمان فدعا جابرًا فشهد على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ بالعمرى لصاحبها فقضى بذلك طارق ثم كتب إلى عبد الملك فأخبره ذلك وأخبره بشهادة جابر فقال عبد الملك: صدق جابر فأمضى ذلك طارق فإن ذلك الحائط لبني المُعمَرِ حتى اليوم»[1].

وما روي عنه أيضًا عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قال: «العمرى ميراث لأهلها»[2].

وما روي عن زيد بن ثابت رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من أعمر عمرى فهي لمعمَّرِه محياه ومماته، لا تَرقُبوا من أرقب شيئًا فهو سبيل الميراث»[3].

وما روي عن ابن عباس رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُما قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «العمرى جائزة لمن أُعمرها والرقبى جائزة لمن أُرقبها»[4]، وما روي عن ابن عمر رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُعمِرُوا ولا تُرقِبوا فمن أعمر شيئًا أو أرقبه فهو له حياته ومماته»[5] والنهي هنا مفيد للكراهة لمن أراد أن يعمر قبل معرفة حكم العمرى جمعًا بين هذا الحديث وباقي الأدلة الدالة على إباحة العمرى،

---

(١) رواه مسلم(شرح النووي) ج١١ص٧٣.

(٢) رواه مسلم(شرح النووي) ج١١ص٧٣ والنسائي ج٦ص٢٧٠ وأحمد ج٢ص٤٢٩ وابن عبد البر في التمهيد ج٧ص١٢١ والطحاوي في شرح معاني الآثار ج٤ص٩١.

(٣) رواه أحمد ج٥ص١٨٩ وأبو داود ج٣ص٢٩٤ رقم٥٥٩ والنسائي ج٦ص٢٣٧.

(٤) رواه أحمد ج١ص٢٥٠ والنسائي ج٢ص١٣٥ وصححه الحافظ في الفتح.

(٥)رواه النسائي ج٦ص٢٧٣ وأبو داود رقم٣٥٥٦ والشافعي ج٢ص٢١٨ والبغوي في شرح السنة ج٨ص٢٩٢ وصححه، والبيهقي في السنن الكبرى ج٦ص١٧٥.

وماروي عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قال: «العمرى جائزة»[1]، وفي رواية: «جائزة لأهلها».

الرُّقبى:

معنى الرُّقبى: الرُّقبى مأخوذة من المراقبة وهي شرعًا أن يقول الرجل لآخر أرقبتُك داري أو حائطي وجعلتها أو جعلته لك في حياتي فإن مت قبلي رجعت إليَّ وإن متُّ قبلك فهي لك ولعقبك فيصير كلٌّ منهما يرقب موت الآخر.

■ الرُّقبى مباحة، وتكون الدار التي أرقبها أو الحائط ونحوه لمن أُرقبت له حياته ولعقبه بعد موته حتى وإن مات قبل الذي أرقبها له

الحديث الأول: عن ابن عباس رَضِيَ اَللهُ عَنْهُما قال: قال رسول الله ﷺ: «العمرى جائزة لمن أُعمرها والرقبى جائزة لمن أُرقبها»[2].

كيفية الاستنباط: في هذا الحديث إخبار بجواز أي إباحة الرقبى وإخبار بأنها لمن أُرقبها والله تعالى أعلم وأحكم.

الحديث الثاني: عن ابن عمر رَضِيَ اَللهُ عَنْهُما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُعمِرُوا ولا تُرقِبوا فمن أُعمر شيئًا أو أرقبه فهو له حياته ومماته»[3].

(١) رواه البخاري (فتح) ج٥ص٢٣٨ ومسلم (شرح النووي) ج١١ص٧٣ وأبو داود رقم٣٥٥٨ والترمذي رقم١٣٤٩ والنسائي ج٦ص٢٧٤ وأحمد ج٢ص٣٩٢ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٤ص١٥٦ والطبراني في الكبير ج٧ص٢٤٧ وابن أبي شيبة ج٧ص١٤٢ وابن عبد البر في التمهيد ج٧ص١٢٠ والطحاوي في شرح معاني الآثار ج٤ص٩١ وأبو نعيم في الحلية ج٣ص١٨٠ والبغوي في شرح السنة ج٨ص٢٩٢.

(٢) رواه أحمد ج١ص٢٥٠ والنسائي ج٢ص١٣٥ وصححه الحافظ في الفتح.

(٣) رواه النسائي ج٦ص٢٧٣ وأبو داود رقم٣٥٥٦ والشافعي ج٢ص٢١٨ والبغوي في شرح السنة ج٨ص٢٩٢ وصححه، والبيهقي في السنن الكبرى ج٦ص١٧٥

كيفية الاستنباط: في هذا الحديث إخبار بأن من أُرقب شيئًا فهو له حياته ومماته أي سواء مات قبل من أرقبه أو بعده فهي له، وقد بينا المراد بالنهي في الحديث في كيفية استنباط الحكم منه في المسألة السابقة والله أعلم وأحكم.

■ يستحب لمن أراد أن يهب شيئًا أن يهبه للأقربين المستحقين هذه الهبة :

الحديث الأول:عن كُريب مولى ابن عباس رَضِيَ اَللهُ عَنْهُما : «أن ميمونة بنت الحارث رَضِيَ اَللهُ عَنْها أخبرته أنها أعتقت وليدة ولم تستأذن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت: أشعرت يا رسول الله أني أعتقت وليدتي؟ قال: أَوَفعلتِ؟ قالت: نعم. قال: أما إنك لو أعطيتها أخوالكِ كان أعظم لأجرك»[1].

كيفية الاستنباط: في هذا الحديث إخبار أن الهبة للأقربين أعظم أجرًا من الهبة لغيرهم والمستحب فعل الأعظم أجرًا والله تعالى أعلم وأحكم.

الحديث الثاني:عن عائشة رَضِيَ اَللهُ عَنْها قالت: «قلت : يا رسول الله إن لي جارين فإلى أيِّهما أُهدي؟ قال: إلى أقربهما منكِ بابًا»[2].

كيفية الاستنباط: في هذا الحديث أشار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ على عائشة أن تهدي لجارها الأقرب وتقدمه على الأبعد وهذه الإشارة ليست أمرًا إذن فالفعل مستحب والله تعالى أعلم وأحكم.

---

(١) رواه البخاري(فتح) ج٥ص٢١٧-٢١٨ والحاكم ج٢ص٢١٣ والبغوي في شرح السنة ج٦ص١٩٥ وابن خزيمة رقم٢٤٣٤ والمنذري في الترغيب ج٣ص٣٣٧.

(٢) رواه البخاري(فتح) ج٥ص٢٢٠ وأحمد ج٦ص٢٣٩ والحاكم ج٤ص١٦٧ والبيهقي في السنن الكبرى ج٦ص٢٧٥ والبغوي في شرح السنة ج٦ص١٩٧.

يحرم رد الهدية إذا كانت لبنًا أو طيبًا أو وسادة أو ريحانًا:

الحديث الأول: عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثلاث لا ترد: الوسائد والدُّهن واللبن»(١). الدهن يعني به الطيب.

كيفية الاستنباط: هذا الحديث خبر بمعنى النهي وبذلك يكون الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قد نهى عن رد الأشياء المذكورة في الحديث وهذا نهي مطلق مفيد للتحريم والله تعالى أعلم وأحكم.

الحديث الثاني: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من عرض عليه طيب فلا يرده فإنه خفيف الحمل طيِّب الرائحة»(٢).

الحديث الثالث: وماروي عنه أيضًا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قال: «من عرض عليه ريحان فلا يرده فإنه خفيف الحمل طيب الريح»(٣).

كيفية الاستنباط: في الحديث الأول نهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ عن ردِّ الطيب، وفي الحديث الثاني نهى عن ردِّ الريحان، وهذان النهيان مطلقان مفيدان للتحريم، والله تعالى أعلم وأحكم. وقد كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ لا يردُّ الطيب يدل على ذلك ماروي عن ثمامة بن عبد الله قال: «كان أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لا يرد الطيب. قال: وزعم أنس أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ كان لا يرد الطيب»(٤).

---

(١) رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب ج٥ص١٠٨ وقد حسن إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح ج٥ص٢٠٩.

(٢) رواه أبو داود رقم٤١٧٢ والنسائي ج٨ص١٨٩ وأحمد ج٢ص٣٢٠ والبيهقي في السنن الكبرى ج٣ص٢٤٥ وابن حبان رقم١٤٧٣ وصححه الحافظ في الفتح ج٥ص٢٠٩.

(٣) رواه مسلم(شرح النووي) ج١٥ص٩ وأبو داود رقم٤١٧٢ والبغوي في شرح السنة ج١٢ص٨٨.

(٤) رواه البخاري(فتح) ج٥ص٢٠٩ والترمذي ج٥ص١٠٨ وقال: حسن صحيح.

■ يباح للمسلم أن يستوهب ممن يعلم يب أنفسهم منفعة أو عينًا :

الحديث الأول: عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ قال : «انطلق نفر من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ في سَفْرَةٍ سافروها حتى نزلوا على حيٍّ من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يُضَيِّفوهم فلُدغ سيد ذلك الحي فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعلَّهم أن يكون عندهم بعض شيء فأتوهم فقالوا: يا أيها الرهط إن سيدنا لُدغ وسعينا له بكل شيء لا ينفعه فهل عند أحد منكم من شيء؟ قال: بعضهم إني والله لأرقي، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تضيِّفونا، فما أنا براقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جُعلاً، فصالحوهم على قطيع من غنم فانطلق يتفل عليه ويقرأ: الحمد لله رب العالمين، فكأنَّما نُشِطَ من عِقال، فانطلق يمشي وما به قَلَبَةٌ. قال: فأوفَوهم جُعلهم الذي صالحوهم عليه فقال بعضهم: اقتسموا، فقال الذي رقى: لا تفعلوا حتى نأتي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فنذكر له الذي كان، فننظر الذي يأمرنا، فقدموا على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فذكروا له ذلك، فقال: وما يدريك أنها رقية؟ ثم قال: قد أصبتم اقتسموا واضربوا لي معكم سهمًا فضحك النبي ﷺ»[1].

الحديث الثاني: عن أبي قتادة السلمي قال: «كنت يومًا جالسًا مع رجال من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ في منزل في طريق مكة ـ ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ نازل أمامنا ـ والقوم محرمون وأنا غير محرم فأبصروا حمارًا وحشيًّا ـ وأنا مشغول أخصف نعلي ـ فلم يؤذنوني به، وأحبوا لو أني أبصرته، فالتفت

---

(١) رواه البخاري(فتح) ج٤ص٤٥٣ ومسلم(شرح النووي) ج١٤ص١٨٧ والترمذي رقم٢٠٦٤ وأبو داود رقم٣١٨٥ وابن ماجة رقم٣٨٩١ وأحمد ج٦ص٤٣٦ والبيهقي في السنن الكبرى ج٣ص٤٠٦ والهيثمي في مجمع الزوائد ج٣ص١٧ والطحاوي في مشكل الآثار ج٣ص١٥٤ والدارقطني ج٣ص٦٤ والبغوي في شرح السنة ح٤ص٤٥٠.

فأبصرته فقمت إلى الفرس فأسرجته ثم ركبت ونسيت السوط والرمح، فقلت لهم ناولوني السوط والرمح فقالوا: لا والله لا نعينك عليه بشيء، فغضبت فنزلت فأخذتهما، ثم ركبت فشددت على الحمار فعقرته ثم جئت به وقد مات، فوقعوا فيه يأكلونه، ثم إنهم شكُّوا في أكلهم إيَّاه وهم حُرُم، فرحنا ـ وخبَّأت العضد معي ـ فأدركنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فسألناه عن ذلك فقال: معكم منه شيء؟ فقلت: نعم فناولته العضد فأكلها حتى نفَّدها وهو محرم»[1].

الحديث الثالث: عن سهل رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ: «أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أرسل إلى امرأة من المهاجرين وكان لها غلام نجار قال لها: مري عبدك فليعمل لنا أعواد المنبر، فأمرت عبدها فذهب فقطع من الطرفاء فصنع له منبرًا، فلما قضاه أرسلت إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنه قد قضاه، قال: أرسلي به إليَّ، فجاءوا به فاحتمله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فوضعه حيث ترون»[2].

الحديث الرابع: عن سهل بن سعد رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ قال: «.. فأقبل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يومئذٍ حتى جلس في سقيفة بني ساعدة هو وأصحابه ثم قال: اسقنا يا سهل فأخرجت لهم هذا القدح فأسقيتهم فيه»[3].

الحديث الخامس: عن أنس رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ قال: «أتانا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ في دارنا هذه فاستسقى فحلبنا له شاة لنا ثم شُبْتُهُ من ماء بئرنا هذه فأعطيته،

---

(1) رواه البخاري(فتح) ج٥ص٢٠٠، ج٩ص٥٤٥-٥٤٦ والنسائي ج٧ص٢٠٥ والبيهقي في السنن الكبرى ج٥ص١٨٨.

(2) رواه البخاري(فتح) ج٥ص٢٠٠ والطبراني في الكبير ج٦ص١٧٨ وأحمد ج٥ص٣٣٩ وأبو داود ج١ ص٢١٣ رقم١٠٨٠ والنسائي ج٢ص٥٧ والبيهقي في السنن الكبرى ج٣ص١٠٨ ومسلم ج١ص٣٨٦ رقم٥٤٤ والدارمي ج١ص٣٢١.

(3) رواه البخاري(فتح) ج١٠ص٩٨-٩٩ ومسلم والبيهقي في السنن الكبرى ج١ص٣١.

وأبو بكر عن يساره وعمر تُجاهه، وأعرابي عن يمينه، فلما فرغ قال عمر: هذا أبو بكر فأعطى الأعرابيَّ فضله، ثم قال: الأيمنون الأيمنون، ألا فيمِّنوا. قال أنس: فهي سنة ، فهي سنة ثلاث مرات»[1].

كيفية الاستنباط: تحكي هذه الأحاديث استيهاب الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ ممن علم منهم الرضا وطيب النفس عينًا أو منفعةً، ولو كان هذا الفعل ليس مباحًا لما فعله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ وأقره الله عليه إذن فهو مباح والله تعالى أعلم وأحكم.

■ يباح للمرأة أن تهب من مال زوجها بإذنه وبغيرإذنه غير مفسدة وتؤجر على ذلك، وأما مالها الخاص بها فيباح لها أن تهب منه بغير إذن زوجها إن لم تكن سفيهة

الحديث الأول:عن عائشة رَضِيَ اَللهُ عَنْها قالت: قال النبي ﷺ: «إذا أطعمت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة لها أجرها وله مثله وللخازن مثل ذلك، له بما اكتسب ولها بما أنفقت»[2]، وفي رواية: «إذا أنفقت من طعام بيتها غير مفسدة فلها أجرها وللزوج بما اكتسب وللخازن مثل ذلك».

كيفية الاستنباط: في هذا الحديث بيان استحقاق المرأة التي تنفق من طعام زوجها غير مفسدة الأجر ولو كان هذا الإنفاق محرمًا عليها لما استحقت به الأجر، والإنفاق مطلق يشمل الذي يكون بإذن الزوج والذي يكون بغير إذنه والله تعالى

---

(١) رواه البخاري(فتح) ج٥ص٢٠١ ومسلم ج٣ص١٦٠٣ رقم٢٠٢٩ وأحمد ج٣ص٢٣٩ وأبو داود ج٣ ص٣٣٨ رقم٣٧٢٦.

(٢) رواه البخاري(فتح) ج٣ص٣٠٣ ومسلم والترمذي ج٣ص٤٩ وحسنه، وأبو داود والنسائي ج٥ص٦٥ وابن ماجة وأحمد ج٦ص٤٤.

أعلم وأحكم.

الحديث الثاني: عن أسماء رَضِيَ اَللهُ عَنْها قالت: «قلت يا رسول الله مالي مال إلا ما أدخل عليَّ الزبير، أفأتصدَّق؟ قال: تصدَّقي ولا توعي فيوعى عليك»(1).

كيفية الاستنباط: في هذا الحديث أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ أسماء بالتصدق من مال زوجها وهذا أمر مفيد للإباحة لأنه جاء بعد النهي عن التصرف في أموال الغير بغير إذنهم، وهذا التصدق مقيد بالذي لا إفساد فيه لمال الزوج، ومقيِّده الحديث السابق، والمال عام في كل مال للزوج سواء كان طعامًا أو غيره، وإن النصَّ على الطعام في الحديث السابق لا يعتبر مخصصًا للمال لأنه فرد من أفراده موافق له في الحكم والله تعالى أعلم وأحكم.

الحديث الثالث: عن أبي هريرة رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قال: «إذا أنفقت المرأة من كسب زوجها عن غير أمره فلها نصف أجره»(2).

كيفية الاستنباط: في هذا الحديث بيان استحقاق المرأة التي تنفق من مال زوجها من غير إذنه الأجر، ولو كان هذا الفعل غير مباح لما استحقت على الصدقة الأجر والله تعالى أعلم وأحكم.

وأما ماروي عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اَللهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ يقول: «لا تنفق المرأة من بيت زوجها إلا بإذن زوجها. قيل: يا

(1) رواه البخاري (فتح) ج٥ص٢١٧ ومسلم رقم١٠٢٩ والبغوي في شرح السنة ج٦ص١٥٣ والمنذري في الترغيب ج٢ص٦٠.

(2) رواه البخاري (فتح) ج٤ص٣٠١ ومسلم ج٢ص١٣١رقم١٢٠٤ وأبو داود رقم١٦٨٧ والنسائي ج٥ص٦٥ وابن ماجة رقم٢٢٩٤ وأحمد ج٦ص٤٤ وعبد الرزّاق رقم٧٢٧٢ والبغوي في شرح السنة ج٢ص٥٩ وابن أبي شيبة ج٦ص٥٨٢.

رسول الله ولا الطعام؟ قال: ذلك أفضل أموالنا»[1] فلا يقوى على معارضة ما ذكرنا من الأحاديث الصحيحة الثابتة وذلك لأن هذا الحديث وإن صححه الترمذي إلا أن فيه راويتين قد ضُعِّفا وهما إسماعيل بن عياش وشرحبيل بن مسلم والله تعالى أعلم وأحكم.

الحديث الرابع:عن كُريب مولى ابن عباس رَضِيَ اَللهُ عَنْهُما : «أن ميمونة بنت الحارث رَضِيَ اَللهُ عَنْها أخبرته أنها أعتقت وليدة ولم تستأذن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت: أشعرت يا رسول الله أني أعتقت وليدتي؟ قال: أَوَفعلتِ؟ قالت: نعم. قال: أما إنك لو أعطيتها أخوالكِ كان أعظم لأجرك»[2].

كيفية الاستنباط: في هذا الحديث بيان أن ميمونة رَضِيَ اَللهُ عَنْها أنفقت من مالها بغير إذن وعلم زوجها رسول الله ﷺ، وقد أقرها على ذلك ولم ينكره عليها فدل ذلك على إباحة هبة المرأة من مالها من غير إذن زوجها إذا لم تكن سفيهة والمخصص لذلك قول الله تبارك وتعالى﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ﴾ [النساء٥] والله تعالى أعلم وأحكم.

الحديث الخامس:عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اَللهُ عَنْهُما قال: «شهدت العيد مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بلا أذان ولا إقامة ثم قام متوكِّئًا على بلال، فأمر بتقوى الله وحثَّ على طاعته، ووعظ الناس وذكَّرهم، ثم

---

(١)رواه أحمد ج٥ص٢٦٧ والترمذي ج٤ص٤٣٣ والطبراني في الكبير ج٨ص١٦٠ والنسائي ج٦ص٢٤٧ والبيهقي في السنن الكبرى ج٦ص٢١١.

(٢) رواه البخاري(فتح) ج٥ص٢١٧-٢١٨ والحاكم ج٢ص٢١٣والبغوي في شرح السنة ج٦ص١٩٥ وابن خزيمة رقم٢٤٣٤ والمنذري في الترغيب ج٣ص٣٣٧.

مضى حتى أتى النساء فوعظهنَّ وذكَّرهن وقال: تصدَّقن فإن أكثركنَّ حطب جهنَّم، فقامت امرأة مِن سِطَةِ النساء سفعاء الخدَّين فقالت: لِمَ يا رسول الله؟ قال: لأنكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير. قالت: فجعلن يتصدَّقن من حُليِّهنَّ يلقين في ثوب بلال من أقراطهن وخواتيمهن»[1].

كيفية الاستنباط: في هذا الحديث بيان أن النساء تصدَّقن من حُليِّهنَّ دون أن يستأذنَّ أزواجهنَّ وأقرَّهنَّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ على ذلك، ولو كان تصرُّف المرأة في مالها بهبة ونحوها لا يحلُّ إلا بإذن الزوج لما أقرَّهنَّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ على تصدُّقهن بغير إذن أزواجهن والله تعالى أعلم وأحكم، وأما ماروي عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُما أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ قال: «لا يجوز لامرأة عطيَّة إلا بإذن زوجها»[2].

وفي رواية: « لايجوز للمرأة أمر في مالها إذا ملك زوجها عِصمتها» فلا يقوى على معارضة الأحاديث الأصح منه السابقة الذكر فترجَّح عليه أو يُحمل هذا على ما إذا كانت المرأة سفيهة فيكون موافقًا لما دل عليه قول الله تبارك وتعالى﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ﴾ [النساء٥] والله تعالى أعلم وأحكم.



(١) رواه البخاري(فتح) ج٢ص٥٤٢ ومسلم(شرح النووي) ج٦ص١٧٥ وأحمدج٣ص٣١٨ والبيهقي في السنن الكبرى ج٣ص٢٩٦ والنسائي وابن خزيمة رقم١٤٦٠ والدارمي ج١ص٢٣٧ والهيثمي في مجمع الزوائد ج١٠ص٣٩٤ وابن حبان رقم٨١٨.

(٢) رواه أحمد ج٢ص١٨٤ وأبو داود رقم٣٥٤٦ والنسائي ج٥ص٦٥، ج٦ص٢٧٨ والحاكم ج٢ص٤٧ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، ورواه البيهقي في السنن الكبرى ج٦ص٦٠ والبغوي في شرح السنة ج٤ص٣١٧ والمنذري في الترغيب ج٢ص٦٠.

خاتمة

الحمد لله تعالى الذي أذن لي أن أدعوه ..... ووفقني أن أقف على بابه ..... أسأله وأتضرع إليه وأرجوه..... وأن ألج باب العلوم الشرعية ..... وعلوم القرآن .... ذلك العلم النفيس .... وخير جليس ..... وحسن أنيس ..... تقبله الله تعالى منا ..... ونفعنا به ..... ونفع الناس بثمراته .... فهذا بحث متواضع مني .... لعل الله يرحمني .... ويتجاوز عن زللي ..... ويرزقني فضل الصلاة على حبيبه ﷺ..... وشفيعنا يوم لقاءه ..... وأن يحشرنا في زمرة العلماء العاملين .... والشهداء والصديقين ..... والأنبياء والصالحين ..... ويتجاوز عن سؤالي .... وينير لي قبري..... ويؤنسني في وحدتي ..... ويرفع مقامي ..... ويبشرني بالجنة قبل آخر عهدي بالدنيا خارجاً منها ..... وأول عهدي بالآخرة داخلاً فيها.

تم بحمد الله تعالى كتاب «هبات الرحمن في السنة والقرآن»

يوم الأربعاء الموافق غرة ذي الحجة عام ١٤٣٠هـ-١٨ نوفمبر ٢٠٠٩م.

جعله الله في ميزان حسناتنا ونفع به أمة الإسلام

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أزواجه وأصحابه وسلم

المؤرخ والمفكر الإسلامي

سمير الحفناوي

Historian_samir@yahoo.com

صدر للمؤلف

(١) المناظرات بين معلمي الرياضيات.... (القاهرة - مكتبة ابن سينا).

(٢) المنافسات بين معلمي الرياضيات(ج٢)...(القاهرة - مكتبة جزيرة الورد)

(٣) خمسون خطأ فني لمعلمي الرياضيات أثناء التدريس(القاهرة..مكتبة ابن سينا).

(٤) الطرائف والألغاز في الجبر والحساب (مكتبة جزيرة الورد - القاهرة).

(٥) أخطاء مدرسي الرياضيات في الجبر للمرحلة الإعدادية.(مكتبة جزيرة الورد).

(٦) غرائب وحكايات علماء الفيزياء والرياضيات(٥ أجزاء..جزيرة الورد)

(٧) رحلة الأرقام العربية من العصور الغابرة إلى العصور المعاصرة (٣) أجزاء صدر منها جزءان .... القاهرة - مكتبة جزيرة الورد جزيرة الورد).

(٨) السبق العلمي لعلماء العرب والمسلمين(مكتبة الإيمان - المنصورة).

(٩) أغرب القضايا في تاريخ علم وعلماء الرياضيات أمام محاكم التاريخ (الهيئة المصرية العامة للكتاب - تحت الطبع).

(١٠) علماء الكيمياء الشعراء. (القاهرة - مكتبة جزيرة الورد).

(١١) علماء الرياضيات الشعراء. (القاهرة - مكتبة جزيرة الورد).

(١٢) علماء الفلك والفيزياء الشعراء. (القاهرة - مكتبة جزيرة الورد).

(١٣) علماء الصيدلة والنبات الشعراء. (القاهرة - مكتبة جزيرة الورد).

(١٤) علماء الطب والحيوان الشعراء. (القاهرة - مكتبة جزيرة الورد).

(١٥) النسبة الإلهية في المخلوقات الكونية (٢ مجلد). (القاهرة - مكتبة جزيرة الورد).

(١٦) الإبداع الفني والبيان في قصص القرآن الكريم. (القاهرة - مكتبة جزيرة الورد).

(١٧) هبات الرحمن في السنة والقرآن (مجلد). (القاهرة - مكتبة جزيرة الورد).

(١٨) الضحك حتى البكاء على قبور المشاهير والعلماء.

(١٩) طبيبات وممرضات حول الرسول ﷺ.

الفهرس